مجلة شهرية

Issue No: 111 :عدد

November 2016 تشرين ثاني

نـــــــور يسوع المسيح المســيـــــح

Φ Ω Σ مالك الله XPIΣTOY

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

نقل رفات القديس جيوارجيوس إلى مدينة اللد

يد القديس جيوارجيوس اليمنى
الذخيرة المقدسة في دير كسينوفونداس

كنيسة القديس جيوارجيوس في دير كسينوفونداس في جبل آثوس في اليونان

محتويات العدد

2	أنا الكرمة وانتم الأغصان.
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	النُسك في الحياة الرهبانية
5	عيد رؤساء الملائكة القديس يوحنا الذهبي الفم
8	صوم الميلاد للاب متّى المسكين
9	انشودة المحبّة القديس زينون
10	الصلاة الحارة القديس يوحنا الذهبي الفم
11	انا عبدٌ معك – ايكومينوس
12	اعرف نفسك القديس باسيليوس الكبير
16	جُزنا بالنار والماء للقديس پاييسيوس الآثوسي
17	القديس نكتاريوس العجائبي
18	الاهتمام بخلاص القريب للقديس يوحنا الذهبي الفم
20	المحبة لا تسقط ابدًا القديس غريغوريوس اللاهوتي
21	نخبة من الحِكم والامثال
22	الأرثوذكسيّة قانون إيمان ..
23	العظات الثماني عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
الغلاف الاخير	العهد القديم ... (٩٤)

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

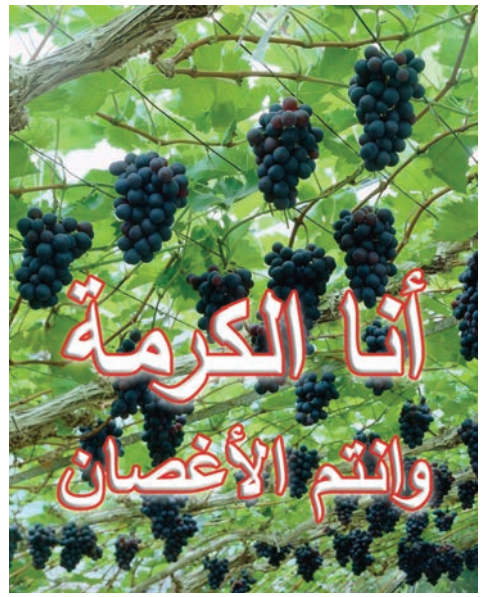

ألْقَى واعظٌ شهيرٌ عظة بليغة عن (السَّمَاءِ)، وبعد انتهاء العِظَةِ، قالَ له أحد المستمعين: أيُّها الواعظ: تحدثت عن السَّماءِ المتجلببة بالسَّناءِ الإلهي، التي لا يعروها مَساء.

فَقُلْ لَنا بالصِّدْقِ: **أَيْنَ السَّماء ؟**

فأجاب الواعظ: هناك في (المكان الفلانيّ) امرأةٌ فقيرةٌ لديها طفلانِ يعيشون معًا في غرفةٍ صغيرةٍ، مرضَى مِن شدَّة البَرْدِ، يفتقرون للخشب والفحم لِيَتَدَفَّئُوا، وليس لديهم ما يأكلون.!!! فَاذهب واشترِ ما يحتاجونة لِسَدِّ الرَّمق ، وَقَدِّمْهُ بمحبةٍ قائلًا: ﴿ أتيتُ بهذا من عند ربِّ السماءِ. واقرأ معهم مزمور: «الربّ يرعاني فلا يُعْوِزُني شيء...» (مز ٢٢). وأَيضًا صلاة الشكر: أبانا الذي في السموات ...﴾

وبعد أن تفعل ذلك. فستعرف **أين السَّماء؟** وإن لم تَعرف أين السَّماء؟ فارجع إِلَيَّ وأَنا أدفع لك حساب المشتريات.

السَّماء أيها الحبيب داخل قلبك «هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو١٧: ٢١). السَّماء هي حياتك في القداسة والبِرِّ.«اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عب ١٢: ١٤).

إِحْرِصْ أيها الأخ الحبيب أن تضرم لهيب محبّة الفضيلة في قلبك، فتشتعل وتتأجّج هذه النار المقدّسة في جوانِحِكَ وجوارِحِكَ، تقَدَّمْ نحو القداسة التي بها تعاينُ الربَّ ومَجْدَ السَّماء. ولا تجزع، سِرْ بلا فُتُورٍ وبِلا وَهَنٍ. ضَع يدك على المحراث، ولا تلتفت الى الوراء (لو٩: ٦٢). تقدَّم إلى الأمام ولا تنظر خلفك، لأنّك إن التفت إلى الوراء تنسَ ما هو قدّامك فَتَزِلُّ قَدَمُكَ.

إنّ عَدَمَ تقدّمك دليلٌ على تأخّرك. ما لم تَمْشِ فانتَ واقفٌ، إِحْذَرِ ٱلوقوف وعدم التقدُّم، حيث لا ارتفاع وصعود، هناك هبوطٌ وسقوط. من لا يزداد حكمة يزداد جهالة، اجتهد وَسِرْ في طريق القداسة، ولا تقف في مكانك، واعلم أنَّ من لا ينمو يضعف، ومن لا يسير إلى الامام يرجع الى الوراء. احذر من الشرّ فإنّه آفةٌ مُهْلِكَةٌ، لا تَكُنْ **شجرة بالية جافة ويابسة.** بل كُن كشجرة مغروسة على مجاري المياه، تنمو وتُزهِر وتُثمِر وتمتدّ أغصانها باسقة إلى السَّماء.لا تكن مثل الحطب الجافّ الْمُعَدِّ للنار.

عِشْ لله وبالله لتنمو في كلّ فضيلة ونعمة. دع التراخي والاهمال والكسل، وَسِرْ في طريق القداسة وتَقَدَّم في طريق الكمال. فيزداد رسوخك وثباتك في المسيح. أَضرِم شرارة محبّتك للفضيلة، لتكون لهيبًا مُسْتَعِرًا ونارًا متأجّجة، تقَدَّم إلى ينابيع النعمة، وٱرْتَوِ من ماء الحياة.

إِلْتَصِق بالربّ واتَّحِد به، فتثبت جذورك في أصل الكَرْمَة. فالذي يشتهي الارتقاء في معارج الفضيلة، يُشَيِّد في قلبه مَصَاعِدَ يرتَقِي من خلالها إلى الكمال بالمسيح يسوع.امّا المتوانِي والذي يعمل عمل الربّ برخاوة، فهو في طريق السقوط والانحدار.

لِيَكُنْ نُصْبَ عينيك التقدُّم الى الأمام، لا تتأمّل ما أنجَزْتَ، بل تَمِّمْ ما لم تُنجِزه، إِسْعَ الى هَدَفِكَ بمثابرة واجتهاد. إغتنم الفُرَصَ وتحيُّنِهَا، ولا تُضَيِّع وقتك سُدًى، بل جاهد لتزداد نموًّا بالفضيلة.

لا تَدَعِ الأيام تمضي وانتَ متخاذل متوانٍ. بل صارع الأيام كما تصارعك. وكافحها لتفوز بإكليل الغَلَبَةِ والظَّفَرِ.لا تكتَفِ بالتحليق فوق الفضيلة وينابيع النعمة، بل عليك الغوص حتَى قَعْرِهَا. عارٌ عليكَ أن تبحث عن الطريق إلى السَّماء، ولا تسير فيه لتصل الى المجد الذي تبتغيه. تَقَدَّم أيُّهَا الأخ الحبيب في طريق السَّماء ولا تَقِفْ مكانك بلا حَرَاك.

وأخيرًا لا تنسَ ما قاله الربّ يسوع المسيح:

«أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.» (يو ١٥ : ٥)

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تكريس هيكل القديس العظيم الشهيد جيوارجيوس المظفَّر في مدينة اللد

«لنمتدحنَّ امتداحًا روحيًّا أيها الأخوة، ألماسة الجلد الإيماني القويم. **جِيوارجيوس الشهيد** السعيد الذكر. الذي صُلِيَ في النَّارِ من أجل المسيح. **فَصَلَّبَتْهُ** الأهوال مثل النُّحاس، وشحذت عزيمتهُ العذابات والعقوبات المتنوّعة، مُذيبةً جسدَهُ الفاني فقط بطبيعته. فإن المحبَّة تغلَّبت على الطبيعة. فَأَقنعت العاشق بأن يَصِلَ بوساطة الموت إلى معشوقهِ المسيح الإله مُخلّص نفوسنا.» هذا ما يصرِّحُ بهِ مُرَنِّمُ الكنيسة.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،

أيها المسيحيون والزوارُ الأتقياء.

هذا هو اليوم الذي صنعَهُ الرب، فَلْنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ بهِ، نعم يحقّ لنا أن نفرح وَنَتَهَلَّلَ لأننا نعيِّد اليومَ لتدشين هذه الكنيسة القديمة المَهيبَةِ، والرائعةِ بإيداع الجسدِ غيرِ البالي **للقديس العظيم في الشهداء جِيوارجيوس اللابس الظَفَرَ** فيها، ونقله إلى مدينة اللد، مسقط رأسه.

لقد ظهر القديس جِيوارجيوس محاميًا عظيمًا للحقيقة، وشهيدًا لمحبة المسيح، لهذا فإن ذِكراهُ الطَّاهرة تُكَرَّمُ في جميعِ المسكونة، وهذا يعود لأن القديس جِيوارجيوس قاومَ **عبادة الشياطين**،أي عبادة الأوثان بقوةٍ وجرأةٍ عَظيمتين أمامَ **الإمبراطور الرومانيّ المتوحش، وسفَّاك الدماء ومُضْطَهِدِ المسيحيين ديوكلتيانوس** في القرن الثالث بعد الميلاد. ومن الجدير بالذكرِ أن هذه الفترة التي آضطَهَدَّ فيها **الامبراطور الروماني ديوكلتيانوس الكنيسة**، قد عُرِفَت بأنها "**عصرَ شهداءِ المسيح**".

لهذا فالقديس جيوارجيوس العجائبيُّ استنارَ من الروح القدس، وما كان يطمع ويسعى إلَّا ليموتَ من أجل محبة المسيح. كما يؤكد هذا مرنمُ الكنيسة:" فإن المحبَّة تغلَّبت على الطبيعة. فَأَقْنَعَتِ العاشقَ بأن يصلَ بوساطةِ الموتِ إلى معشوقهِ المسيح الإله مُخلّص نفوسنا" وعليه نقول إنَّ القديس جيوارجيوس المُتَشَبِّهَ بالمسيح والصائر شريكًا لآلامهِ، قد تمَّ فيهِ قول الرّبّ: «الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يو١٥: ٥).

حقًا أيها الإخوة إنَّ صديقَ المسيح الأمين جيوارجيوس استطاعَ أَنْ يَتَفَوَّهَ مع القديس الرسول بولس:«مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.» (غلا ٢: ٢٠).

أي لقد صُلِبْتُ ومُتُّ مع المسيح بوساطة المعمودية، وبما أنني قد مُتُّ، فلمْ يعد للعالم أيُّ أهميةٍ بالنسبة لي، نعم قد أصبحتُ مشاركًا لموتِ المسيحِ على الصليب وأنا ميتٌ الآنَ، ولا أحيا أنا الإنسانَ القديمَ بعدُ، ولكن يحيا بداخلي المسيح. فأحيا مُلهمًا ومُستحوِذًا عليَّ الإيمان بابنِ الله، الذي أحبني وأسلمَ نفسَهُ لأجل خلاصي.

لقد بَرهنَ القديس العظيم الشافي بالأفعالِ والأقوال "بأن الذي يحيا في قلبه هو المسيح"، لهذا فإنه يليقُ بالقديس اللابس الظفر جِيوارجيوس ما قاله مُخلصنا المسيح، بفم العظيم الصوت النبي إشعياء « رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ.» (لو٤ : ١٨). وهذا ما يشهَدُ بهِ أيضًا مُرَنِّمُ الكنيسة قائلًا: "بما أنكَ للمأسورينَ محرِّرٌ ومعتقٌ، وللفقراء والمساكين عاضِدٌ وناصِرٌ، وللمرضى طبيبٌ وشافٍ، وعن الملوكِ مكافحٌ ومحارِبٌ، أيّها العظيم في الشهداء جِيوارجيوس اللابس الظفر، تشفع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا".

إن الحدثَ الذي لا يمكن إنكارهُ، هو أنّ القديس جِيوارجيوس يُعْرَفُ أنّه نصيرٌ حارٌّ ومُحْسِنٌ إلى المسكونة، وهذا عائدٌ أيها الأخوة إلى أنَّ إلٰهَ جِيوارجيوس، هو إلٰه المحبة المتجسدة، وهذا ما يؤكده القديس يوحنا الإنجيليّ: « اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ. (١يو٤:١٦) وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ » (١يو٤:٨).

ويَسِطُ القديس يوحنا السلميّ أمامنا معنى المحبة قائلًا: المحبة قبل كل شيء هي نزع لكل فكرةٍ مضادة، «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا

لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ» (١ كو١٣: ٤-٨).

هذه تمامًا هي قوّة المحبة الإلٰهية التي لا تُقهر، والتي نُبَشِّرُ بها اليوم في هذه الأرض **المبتلية بالمِحَن**، أرض المبشرين بالعدل والسلام، مُحْيين تذكارَ القديس العظيم في الشهداء جِيوارجيوس، كما يقول مرنم الكنيسة: "يا لعشقك لله من عشقٍ حارٍ يا كليَّ الغبطة. فإنَّك احتسبتَ الثروة ثَرًى فهتفتَ تقول أني لا اعتدُّ العالمَ كلَّهُ ولو كان ذهبًا بجملتهِ، شيئًا يعادلُ محبَّة المسيح سيِّدِ الجميع".

إنّ محبة القديس جِيوارجيوس لله، قد تحوّلت نورًا يضيء ذهنهُ عبر أفعال الصلاة النقية الطاهرة المستمرة، كما يدُلُّ عليها مرنم الكنيسة: "فيما أنت شاخصٌ ببصرك الى السماءِ صباحًا أشرق لك النور حسب وَعْدِ الله لك. فإنَّهُ بينما كنت بعدُ تصلّي، ظهر يقول لك قد أتيتُكَ مُغيثًا. فاطَّرِحْ عنك ٱلْجَزَعَ تمامًا. وتشجَّعْ إلى الأبدِ".

فها هو أيها الأخوةُ الأحبةُ إلٰه القديس جِيوارجيوس الذي هو إلٰهُنا، يدعونا بشفاعاتِ سيدتِنا والدةِ الإله الدائمة البتولية مريم أن نطرح عنا كلّ خوفٍ من جهة الاضطهادات المستمرة، مُلقينَ كلّ هَمِّنا على الله كما يقولُ لنا القديس بطرس الرسول في رسالتهِ: « مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ، أُصْحُوا وَٱسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ». (١ بط ٥: ٧). آمين.

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

صـــلاة

للقديس اسحق السرياني

أيُّها الربّ يسوع المسيح إلهنا، ان قلبي لا يتكبد عناء البحث عنك. لا توبة عندي ولا حنان، ولا شيء مما يعيد الاولاد الى ميراثهم. يا سيِّد، لا دموع لي لأصلّي اليك. أَظْلَمَ عقلي بكل أمور هذه الحياة، ولا قوّة لي لأتوق نحوك من عمق وجعي. ان قلبي متجمّد بردًا تحت ضغط التجارب ، ودموع حبك لا تستطيع ان تعطيه الدفء. لكن أنتَ، ايُّها الربّ يسوع المسيح إلهي، يا كنز الصالحات، اعطني توبة كاملة لأقوم وأبحث عنك من كل قلبي، لأني بدونك لستُ شيئًا. أيها الإله الصالح، أَعْطِني نعمتك لِيُجَدِّدَ الله الآبُ، الذي ولدك بمعزلٍ عن الزمن، صورتَك فِيَّ. أنا تركتُك، لا تَتْرُكْني. أنا خرجتُ عنك، أُخْرُجْ أنتَ وَٱبْحَثْ عني. قُدْنِي الى مرعاك، وأَحْصِنِي معَ خرافِ قطيعك المُختار. غَذِّني معها بأسرارك الإلهية التي تَسْكُنُ في القلب، هذا القلب الذي يحمل فيه بهاء اعلاناتك حلاوة وتعزية، للذين جاهدوا من أجلك. إِجْعَلْنا مستحقين لهذا البهاء بنعمتك ومحبتك للبشر، يا مخلصنا يسوع المسيح الى دهر الداهرين، آمين.

للمرارة حلاوة

جلس طفل صغير بجانب الطاولة في المطبخ حيث كانت أمه تُعِدُّ له الكعكة التي يحبها، وبسبب فضوله ابتدأ يتذوق الموادَ الموضوعة على الطاولة. فابتدأ بالطحين فلم يعجبه طعمه، ثم وضع في فمه قليلًا من خميرة العجين وتفاجأ بطعمها اللّاذع، وَتَوَجَّهَ نحو أمِّه قائلا: "يبدو أنك لن تصنعي كعكة لذيذة هذه المرة، لأن المواد التي تستعملينها ليست لذيذة أبدا؟". فقالت له أمّه: "لن أجيبك الآن على سؤالك، عليك أن تنتظر إلى أن تنضَجَ الكعكة، فتبدي عندها رأيك".

وبعد أن خبزت الأم الكعكة في الفرن، ناولت صَغيرَها قطعة منها، وابتدأ يأكل بحذر، ولكنه اكتشف بعد لقمتين أن الكعكة لذيذة كالعادة وطلب قطعة أخرى، وعندها سألته أمه: "ما رأيك بهذه الكعكة الآن؟". قال لها: "من المستحيل أن تكون المواد التي تَذَوَّقْتُهَا لوحدها تعطي هذا الطعم اللذيذ!". فقالت له الأم: "إن الأشياء المجتمعة معًا وبدقة هي التي تعطي النتائج الجيدة في النهاية".

وهذه هي حياتنا مزيج من المرارة والحموضة والسعادة والمرض والبُعد والقُرب، ولكن: "لِأَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" كما جاء في الرسالة الى اهل رومية (٢٨:٨). فالأمور التي تبدو لنا صعبة وَمُحْزِنَةً هي التي تبني شخصيتنا ومشاعرنا وتساعدنا على الشعور مع الآخرين عندما يَعبُرون بنفس المواقف، سواء كانت محزنة أم مفرحة، وهكذا يستخدم الله معنا هذا الخليطَ لكي يصبح إنسان الله كاملًا متأهِّبًا لكل عمل صالح.

النُسك في حياة الرهبنة وبعضٌ من قوانينها

للقديس باسيليوس الكبير

عن محبّة الله

† محبّة الله أمرٌ كائنٌ في طبعنا منذ أن خَلَقَنَا، كمحبة الابن الطبيعية لأبيه، والأب لابنه.

† تأتي محبة الله:

† بحفظ وصايا الله، وهي تنبع من الفضيلة.

† ونحن بطبعنا نحبّ الخير والجمال والصَّلاح، وكلها من الله.

† وإحسانات الله إلينا – وهي لا تُحصَى – تدعونا لمحبة الله (لذلك يجب التأمّل في عطاياه السخيّة لنا).

† يجلب إبليس علينا الغفلة، بالشهوات العالمية، لكي لا نذكر إحسانات الله إلينا، بل نفتخر ونتكبّر بالرغم من عصياننا لله.

† سُئِلَ القديس باسيليوس (كيف نحظى بمحبة الله):

† فأجاب قديسنا العظيم:

† «محبّة الله، لا تُقْتَنَى بإرشاد الناس، لأنها مغروسة فينا منذ أن خَلَقنا الله على صورته ومثاله. فكوننا لا نتعلّم من الآخرين التعاطي مع النّور وعشق الحياة، أو محبّة الوالدَيْن، أو مَنْ اعتنوا بتربيتنا، كذلك بالشوق الكثير الذي فينا لله، فهو أصيلٌ متجذّرٌ فينا».

فمحبة الله ليست بمعزِلٍ عنَّا، فمنذ بداية خلق الإنسان هي متّحدة فينا، لأنّ الله هو مصدر الخير الأسمَى وهو كمال الوصايا. «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو٣:١٦).

ملحوظة: (إنّ التأمل في احسانات الله لنا، وفي صفاته الجميلة تجعلنا أن نحبّه كثيرًا، خاصّةً بعد أن افتدانا بدمه الثمين على عود الصليب، وفتح لنا باب الفردوس المُغْلَق. وأعادَ لنا الملكوت السعيد والدّائم.)

† ومحبّة الله تعني ضرورة تنفيذ وصاياه: « اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي» (يو١٤:١٥-٢٣).

† ونحنُ نذّكركم – من أجل محبّة الله – لأنّه دَيْنٌ علينا نحو الله.

† وإنَّ القِوَى التي خلقها الله فينا، إذا ٱسْتُثْمِرَتْ وَوُجِّهت نحو الغايةِ المرجوّةِ منها، تقودنا نحو كمال الفضيلة وحُسْنِ العبادة، أمَّا اذا انحرفنا عن هذا الهدف الأصيل، فإنّها تُحدِرنا نحو مستنقعات الرذيلة.

† فَأَمرُ **الفضيلة والرذيلة**، منوطٌ بحريتنا، وايضًا بالمسار الذي نَخُطُّهُ لهذه القوى الموهوبة لنا من الخالِقِ، فإن سرنا حسب مشيئة الله حقّقنا الهدف المنشود الذي وُضِعتَ لأجْلِهِ، وإن سرنا بحسب رغباتنا وأهوائنا سقطنا في وهدة الخطيئة.

† محبّة الله المغروسة فينا تحثُنا وتُرْشِدُنا باستمرار نحو كمال فضيلة المحبّة. فنحب من يحبنا، وخاصة أبناء جنسنا، ونتبادل سويّةً معهم عامِلَ الخير تلقائيًا.

† وأيُّ جمال (بديعٌ وفتّان) يستأثر شوقنا اليه، والمحبّة له، مثل جمال الله الكامل والدَّائِم !؟ وأيَّةُ أفضال مثل أفضاله علينا، الفائضة والشَّاملة، فأيُّ حُبٍ يكون مثل الحُبِّ لله، من النفس النقية من جميع الشرور، التي تستطيع بدالة أن تقول بقلبٍ طاهرٍ: «فَإِنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا.» (نش ٢:٥).

† إنّ لمعان نور مجد الله (غير المخلوق) لا يدركه عقلٌ بشريٌّ، فهو فوق الحواس وغيرُ مُسْتَقْصًى، فنور الشمس والكواكب جمعاء بضيائها، تُعْتَبَرُ لَا شيء بالنسبة للنُّور الإلهي الباهر.

† إنّ النُّور الَّذي خلقه الله، وبه نرى ونشاهد الأجسام حولنا، يُعْتَبَرُ **حالكًا وقاتمًا** بالنسبة للنُّورِ الإلهي غير المُدْرَك، فهما على طرفيْ نقيض، فالنور المخلوق كنور الشمس يُعْتَبَرُ **ديجورًا وغيْهَبًا** بالنِّسبَةِ **للنُّور النقيّ الجليّ البَيِّنِ غير الموصوف**. هذا النُّور السَّماوي بوميضه الإلهي المتألِّق، يلامس بسكينة وهدوءٍ تامّ العقل المستنير، ليحظَى بيسير من بريقه المتلألىء. عندها يدخل في حالة الانخطاف والدَّهَشِ.

انظر طروبارية التجليّ: «لمّا تجليتَ أيها المسيح الاله على الجبل أظهرتَ **مجدك** لتلاميذك **حسبما استطاعوا** فأشرق لنا نحن الخطأة نورك الأزلي، بشفاعات والدة الاله يا مانح النور المجدُ لَكَ».

عيد رؤساء الملائكة

أُنظرُوا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار

للقديس يوحنا الذهبي الفم

إنجيل متّى : (١٨: ١٠–٢٠)

«أُنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصّغار لأنّي أقول لكم إن ملائكتهم في السَّموات كلّ حين ينظرون وجه أبي الذي في السَّموات» (١٨: ١٠).

لا يُسَمّي «صغارًا» هؤلاء الصّغار في الواقع، بل هؤلاء المعتبرين من الكثيرين صِغَارًا أعني الفقراء، المُزْدَرَى بِهم، المخفيّين. كيف يكون صغيرًا ذاك الذي يستحقّ العالم كلّه؟!

إنَّ صديق الله كيف يكون صغيرًا ؟! إذًا، يُسَمَّى هنا «صغارًا» هؤلاء المُعتَبرين هكذا بحسب مفهوم الكثيرين. ولا يتكلّم هنا على الكثيرين بل عن الواحد «أحد هؤلاء الصّغار». هكذا يُحفظ بهذه الطريقة من أذيّة العثرات الكثيرة. عندما يتجنَّب الانسان الأشرار يجني فائدة كبيرة، كذلك عندما يُكرِّم الأخيار يجني فائدة مُضَاعفة: أوَّلًا لأنّه يقطع الصّداقة مع الكثيرين من أصحاب العثرات، وثانيًا لأنّه يُساعِد ويُكَرِّم الرّجال القدّيسين.

«لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»؛ هنا يُظهر هؤلاء «الصّغار» مستحقّين كلّ احترام، ومن هنا يتَّضح أنّ **الصّدّيقين عندهم ملائكة** وكذلك الجميع أيضًا. يقول الرسول بولس مثلًا عن المرأة: « لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ أَجْلِ الْمَلاَئِكَةِ.» (١كو١١: ١٠). وموسى: «حَدَّدَ حُدُودَ الأُمَمِ وِفْقًا لِعَدَدِ مَلاَئِكَةِ اللهِ» (تث٣٢: ٨). في هذه الحالة لا يتكلّم فقط على الملائكة بل على الملائكة المتسامين.

عندما يقول: «وَجْهَ أَبِي» **يقصد دالّتهم الكبيرة** لدى الله وكذلك كرامتهم الكبيرة.

«لأنّ ابن الانسان قد جاء لكي يخلّص ما قد هَلَك» (١١: ١٨).

وهنا يشير الى فكرةٍ أعمق وأهمّ من السّابقة، ويدعم فكرته هذه بمَثَل ***Parabole*** (پاراپولي، أي مَثَل: حِكَايَةٌ رَمْزِيَّةٌ ذاتُ مَغْزًى أَخْلاقِي) من خلالها يبيّن أنّ أباه هو الذي يريد مثل هذه الأمور.

«ماذا تظنّون. إن كان لإنسان مئة خروف وضلّ واحدٌ منها، أَفَلَا يترك التّسعة والتّسعين على الجبال ويذهب في طلب الضَّالّ. وَإِنِ ٱتَّفَقَ أَنْ يجده فالحقَّ أقول لكم: إنّه يفرح به أكثر من التّسعة والتّسعين التي لم تضلّ. هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السَّموات أن يهلك أحد هؤلاء الصّغار» (١٨: ١٢–١٤).

أرأيت بِكَمْ من الطُّرُقِ يُرشدنا إلى الاهتمام باخوتنا المتواضعين؟ فلا تَقُلْ إذًا إنَّ هذا **نَحَّاسٌ، أو صَانِعُ أَحْذِيَةٍ، فَلَّاحٌ، جاهلٌ** ولذلك تزدري به. حتَّى لا تقع في مثل هذا الخطأ، أُنظر كم من الأمثال يستخدم لِكَيْ تكون حكيمًا معتدلًا فيحثّك على الاهتمام بهؤلاء الصّغار.

أَوْقَفَ ولَدًا أمامهم وقال:

«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (متّى ١٨: ٣). « وَمَنْ قَبِلَ وَلَدًا وَاحِدًا مِثْلَ هذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي.» (متّى ١٨: ٥). « وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ.» (متّى ١٨: ٦). ويضيف «وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ!» وأَمَرَ بقطع الأعضاء مع أهميّتها كاليدين والعينين.

وكذلك من الملائكة الذين يحرسونهم، يُظهر «الصّغار» مستحقّين لكلّ احترام، هذا من مشيئته الخاصّة من آلامه لأنّه يقول: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا١٩: ١٠). مما يُظهر موته على الصّليب كما يقول بولس الرسول وهو يتكلّم على الأخ: «لاَ تُهْلِكْ بِطَعَامِكَ ذلِكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِهِ.» (رو١٤: ١٥).

وهذا أيضًا من الآب، لأنّ الله لا يريد أن يهلك الخاطىء كما أنّ الرّاعي يترك الخراف التي لم تضِلّ ليبحث عن الخروف الضّالّ، وعندما يَجده يفرح كثيرًا لإيجاده وخلاصه.

إن كان الله يشعر بفرحٍ مثل هذا من أجل إنسانٍ صغير وُجِدَ وحَصَلَ على الخلاص، فكيف تزدري أنت بالذين يستقطبون مثل هذا الاهتمام من الله، بينما كان عليك أن تبذل حتّى حياتك من

أجل أحد هؤلاء الصّغار ؟

وتقول إنّه ضعيف وبلا أهميّة. طبعًا لهذا السّبب بالضّبط قبلَ كُلّ شيء، يجب أن نفعل كُلّ شيء لكي نُخلّصه. لأنّ الرّاعي الذي ترك الـ ٩٩ خروفًا، وجاءَ إلى الضّالّ ولم يحجب خلاص الكثيرين هلاك الواحد.

أمّا لوقا فيقول: إنّه وضعه على منكبيه فَرِحًا (لوقا ١٥:٥). و «يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ.» (لوقا ١٥ : ٧).

عندما يترك الخِراف الآمنة من أجله (**أيْ من أجل الخاطىء الواحد**) وعندما يفرح أكثر من أجل خلاصه يُظهِر هكذا اهتمامًا كبيرًا به.

فلا تُظْهِرَنَّ إذًا لا مبالاةً أمام نفوس هؤلاء الصّغار. لأنّ كُلّ ما قيل هو من أجلهم. وقد هدّد أنّه لن يدخل أحدٌ السّماء ولا بأيّة طريقة إن لم يعُدْ ويصير مثل الطّفل، وقد **ذَكَّرَ** بحجر الرّحى، كلّ هذا لكي يحارب **تكبُّر المتعالين**. لأنّه لا شيء يعادي المحبّة أكثر من **التكبُّر** ويقول: « وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!» (مت ١٨:٧) بهذا يجعل الجدّيّين صاحين يَقِظِينَ. وعندما يقول: «وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!» (مت ١٨:٧)، يجعل كُلَّ واحد متنبهًا حتّى لا تأتي العثرة عن طريقه. ويوصي أن نقطع الصّلة مع المُعَثِّرين فيجعلَ هكذا الخلاص سهلًا. عندما لا نزدري بالنّاس الوضيعين.

بل يأمر بالأحرَى ذلك عندما يقول: «اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ»؛ « لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

وكذلك: «لِذلِكَ جِئْتُ أَنَا». وهذا ما يريده أبي الذي في السّماوات، كلّ ذلك يحثّهم على الاهتمام بالصّغار وعلى الانتباه الكبير امامهم.

خلاصة: أرأيت كم من الاهتمام يُظهر من أجل المُزْدَرَى بهم من أجل الضّالين؛ كم يهدّد أولئك الذين يهملونهم، ويَعِدُ بالخيرات الكبيرة للذين يساعدونهم ويهتمّون بهم، مضيفًا شهادته الخاصّة وشهادة أبيه.

شهوة المال

كان هناك راهب غيور سمع عن شجرة يسكنها شيطان، ويعبدها الناس فدفعته غيرته الكبيرة الى ان يذهب ويقاتل هذا الشيطان الذي ضَلَّل كثيرين.

قال له الشيطان: ما دخلك بي؟ دعني وشأني. لماذا تريد أن تقطع هذه الشجرة؟

فقال الراهب: كيف أتركك تُضلِّل الناس وتُبعدهم عن عبادة الإله الحقيقي؟

قال الشيطان: يا أخي ماذا يهمك ما دمتَ لا تعبد الشجرة؟

قال الراهب: من واجبي أن أُنقذ الناس منك ومن أمثالك.

وهنا دارت معركة بين الراهب والشيطان حتى تمكن الراهب منه بعد ساعة، فصرخ الشيطان: اتركني وانا أضع تحت وسادتك دينارًا ذهبيًا كل صباح. حينها تراجع الراهب وقد أعجبته الفكرة، ووافق. وتوالت الأيام حتى كان ذلك اليوم لما رفع الراهب وسادته فلم يجد شيئا، فثار وهاج وحمل فأسه وذهب ليقطع الشجرة.

فاعترضه الشيطان وتصارعا ثانية. ولكن في هذه المرة تغلب الشيطان على الراهب ممسكا إياه من عنقه. فتساءل الراهب لماذا لم يستطع ان ينتصر مجددًا؟

أجابه الشيطان ساخرًا: المرة السابقة كنتَ تحارب من أجل الله. اما الآن فأنت تحارب من أجل نفسك، وشتّان بين الهدفين. فاترك يا صديقي قطع الشجرة لمن **لا تغريه شهوة الدنانير**.

قرأتُ القصة وشعرتُ أنَّها موجَّهة لي شخصيًا فأنا كثيرًا ما أتوقف في طريقي وأتساءل.. لماذا لا أتقدم في حياتي الروحيَّة؟؟ لماذا ثمار خدمتي لا تليق بربِّ الخدمة؟؟ ألف لماذا ولماذا ولا إجابة.. حتى وجدت أن الإجابة تكمن في كلمة واحدة.. لمن اعمل؟؟ للهِ أم لنفسي..؟؟ تمضي الأيام مُكتفيًا بشهوات كثيرة.. وثمار زائفة.. ذاتٌ وكرامةٌ.. مكانة واثبات وجود.. أهواء شخصية واطماع أرضية.. راحةٌ وَرُكَبٌ مرتخية.. منظر أحافظ عليه جيدًا فوق أي شيء.. أنني مثل الابن الضال.. الذي يشبعه طعام الخنازير، ولم يقرّر بعد العودة لحضن أبيه حيث الشبع الحقيقي.

لا أريد يا يسوع أن تكون لي صورة التقوى وأنا لا اعرفها، متى تصير يا ربّ شهوتي الوحيدة ورغبتي الأكيدة..؟؟ سئمت الثمار الجافة، والحلول الوسط وأشباه الخطايا.. وأشباه الفضائل.. وكلام المبادئ، ولا حياة، وحيث لا توجد حياة بل موتٌ.

يا يسوع اهزم الموت داخلي وَثَبِّتْنِي في محبتك.. اغلبني بحبك وكن ميناء سلامتي أريد أن أحارب من أجلك بقية عمري.

صوم الميلاد

للأب متّى المسكين

الصوم في الكنيسة الأرثوذكسية محور كل عبادة فردية أو جماعية، أما بالنسبة للفرد **فالآباء** قالوا: "إذا أردت أن تنجح في أية فضيلة روحانية فابدأ جهادك بالصوم"؛ لأن الصوم هو أول وأقوى عمل لتحويل الطاقة الجسدية إلى طاقة روحانية، لذلك أصبح الوسيلة الفعّالة والناجعة لتزكية كل سيرة روحانية. فبقدر ما يعتاد الإنسان الصوم، بقدر ما تستقر نفسه في علاقتها مع الله، وتنكشف أمامه أسرار الحياة.

ولكن هناك فرق كبير بين صوم نمارسه مؤقّتًا من أجل ظروف خاصة نجتازها، وبين صوم نمارسه بدون أسباب، حُبًّا في الصوم ذاته كوسيلة لسموّ الروح وتقرُّبها من الله. فمُمَارسة الصوم لأسباب خاصة لها نتائج طيّبة، ولكن لا ترفع درجة الرُّوح إلى مستوى ثابت في علاقتها بالله، أما الصوم حُبًّا بالله فهو مثل جناحين يرفعان النفس لتُحلِّقَ دائمًا في الأجواء ٱلْإِلٰهِيَّةِ.

أما الصوم بالنسبة للكنيسة كجماعة، فهو محاولة ناجحة لجعل الصوم بدون دوافع شخصية، فالكنيسة تحدِّد أصوامًا عامة لمناسبات عامة يصوم فيها كل الشعب تحت نظام موحَّد، حيث يحس كل إنسان أنه يقدِّم صومه مع صوم الجماعة ليحتفظ بكيانه مُتحدًا بها كثمن، أو بالحري كعربون لعضويته في الكنيسة الحيَّة العاملة والمنتصرة في آن واحد. أي أن الصوم الجماعي يوحِّد الأفراد كجسم واحد، ويقرِّبهم إلى الله كعروس مزيَّنة لعريسها.

فإذا كان الصوم الفردي بدون دوافع شخصية يستطيع أن يرفع مستوى النفس ويُقرِّبها من الله لتستقر في سلامها وفرحها معه، فالصوم الجماعي الذي تحدِّده الكنيسة لكل الشعب، يستطيع أن يرفع الكنيسة كلها إلى مستوى روحي عالٍ، ويُقرِّبها من الله ويُدخلها في سلام دائم معه، هذا إذا أقبل الشعب كله على الصوم بهذه النيَّة وبدون تَملمُل.

والكنيسة في تحديدها لمواسم الصوم ومدَّته اعتمدت على أمرين أساسيين:

الأوَّل: المناسبة التي أوحت إليها الصوم في حدِّ ذاتها،

الثاني: حاجة الكنيسة دائمًا وباستمرار إلى الصوم في حدِّ ذاته.

وهذان الأمران هما في حقيقتهما دافعان عظيمان، ومهمان جدًّا للصوم يحويان جوهر العبادة كلّه.

أما المناسبة التي أوحت بالصوم للكنيسة، فهي دائمًا نابعة من سرِّ الخلاص الذي أكمله لنا المسيح، وهي إمَّا ميلاده أو موته أو قيامته، أو حلول الروح القدس، وبدء كرازة الرسل باسمه في العالم كله، أو تقييم الدور الذي أكملته العذراء القديسة مريم في قبولها سرّ الخلاص الإلهي الذي كان مخفيًا فيها، والشهادة له حتى يوم الخمسين إلى أن حلَّ الروح القدس واضطلع هو بالشهادة من بعدها إلى نهاية الزمن.

والعلاقة التي تربط كُلًّا من هذه المناسبات بالصوم وتحتِّمه، هي علاقة روحية سرية غاية في الأهمية، إذ يستحيل أن ندخل مثلًا في سرِّ الميلاد الذي هو استعلان الله في الجسد الإنساني، إذا لم نَسْمُ بأفكارنا وحواسنا الجسدية إلى مستوى إلهي. وقد قلنا سابقًا إن الصوم هو الوسيلة العُظمى لتحويل الطاقة الجسدية فكريًا وعاطفيًا إلى طاقة روحانية. إذن فلا مناص من الصوم إن كنا نريد أن نستعلن روحيًا سرّ الخلاص القائم والمُعلَن في تجسُّد ابن الله أي في ميلاد المسيح.

فالكنيسة حدَّدت صوم الميلاد لِتُهَيِّئ لكل فرد المستوى الروحي الذي يستطيع من خلاله، قبول سرّ الخلاص القائم والمُعلَنِ في التجسُّد الإلهي، أي في ميلاد المسيح، لأنه يستحيل على الإنسان الطبيعي **المنغمس في الأكل والشرب والملاهي**، أن يقبل هذا السرّ الفائق للطبيعة، وغير المعقول حتى لدى الحكماء جدًّا. لذلك إذا لم يرتفع الإنسان إلى ما فوق الطبيعة بكل كيانه الجسدي والنفسي (بالصوم)، حتى يتهيَّأ العقل للتفكير، مجرد التفكير في إمكانية التجسُّد وضرورته، فلن يستطيع أن يدرك هذا السِرّ: «وَلٰكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا. وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ لاَيُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ.» (١كو ٢: ١٤،١٥).

فإذا استطاعت الكنيسة أن ترتفع إلى هذا المستوى الروحي كجسدٍ مُتَجَلٍ بالصوم ومُتَطَهِّر، فإنها تواجه الميلاد كعيد حقيقي فيصير لها فرحًا وبهجة، لأنها لا تكون في مواجهة السرّ الإلهي وحسب، بل تدخل فيه كجسد بلغ إلى مستوى سرّ التجسُّد، أو بحسب التعبير

اللاهوتي: "تصير الكنيسة جسدًا سريًّا"، أي يحل فيها المسيح تمامًا، كما حلَّ في الجسد الذي أخذه من العذراء! الكنيسة هنا لا تُعيِّد للميلاد الزمني كحادثة تاريخية فحسب، بل تعيِّد للميلاد الحادث في صميمها، تُعيِّد للحلول الإلهي الذي يتجسَّدها!

وهنا كل فرد في الكنيسة يحس إحساس الكنيسة، وينغمر في لُجَّة عطاياها، إن هو انتفع بالصوم لنفسه. إذن فالصوم يُعِدُّ الفردَ لقبول ما للكنيسة، والكنيسة بصوم كل أفرادها تأخذ ما يمكن أن تعطيه لكل فرد. الصوم هنا سرّ توحيد، وسرّ الأخذ والعطاء يوحِّد الإمكانيات الفردية لحساب الكنيسة، ويفرِّق العطايا الممنوحة للكنيسة لحساب الأفراد.

الكنيسة غنية، تفيض دائمًا بعطاياها بكل سخاء، في كل وقت، بسبب استحقاقها المستمر. والكنيسة مستحقة لكافة عطايا المسيح بسبب كونها مختارة وجديرة بالاختيار معًا، فالمسيح اختار الكنيسة من وسط العالم وفداها بدمه، ليُعلن فيها غِنَى لطفه وعمق محبته وصدق مواعيده وأسراره. والكنيسة بدورها أبرزت للعالم بواسطة قديسيها وأتقيائها شهودًا أثبتوا جدارة الكنيسة باختيار المسيح لها، بسيرتهم وحياتهم وَنُسْكِهِم وصومهم ومحبتهم التي فاقت حدود الموت! وحتى الآن وإلى الأبد لا تزال الكنيسة تأخذ من غِنَى لطف المسيح، وعمق محبته وأسراره، وكذلك من ميراث قديسيها ومجدهم المذخر في كنْزِها بآن واحد وتفرق على أولادها.

فإذا فحصنا ما يجري كل يوم في جرن المعمودية، وتأملنا كيف تهب الكنيسة من كنز حياتها سرّ الحياة الجديدة بالمسيح، أي سرّ الميلاد لكل من يريد أن يعتمد، نجد أنها في نفس الوقت تحتِّم على الكاهن المعمِّد والابن الجديد المعمَّد، أن يصوما معًا قبل إجراء سرّ العماد حتى يتم سرّ الميلاد الجديد! الصوم هنا شرط أساسي للكنيسة والفرد: الكنيسة يمثِّلها الكاهن والشماس، والفرد الجديد إما يصوم بنفسه وإن كان طفلًا يصوم أبواه وإشبينه، وذلك لبلوغ مستوى السرّ في فاعليته وعطائه وأخذه. الصوم هنا ملازم لسرّ الخلاص بصورة حتميَّة، لأنه لا يعلنه فحسب كرؤيا فكرية بل هو محسوب مدخلًا أساسيًا إليه: «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ.» (يو٣:٦). هنا يلزم لمن يريد أن يُولَد روحيًا أن يرتفع على سُلَّم الصوم ليهيِّئ الإرادة للانتقال من حياة **حسب الجسد** إلى حياة **حسب الروح**.

ما يتم للفرد في جرن المعمودية داخل الكنيسة هو صياغة عملية مبنية أساسًا على ما تمَّ، وما يتم للكنيسة باستمرار حينما تصوم لميلاد المسيح وتعيِّد له. فالكنيسة باعتبارها جسد المسيح السرّي وُلدت بميلاد المسيح، وهي لا تزال قائمة حيَّة تشهد لهذا الميلاد، وتمارسه بسلطان حينما تعمِّد أولاد **الجسد** فتحوِّلهم إلى أولاد **الروح**.

والكنيسة حينما تصوم للميلاد كل سنة، فهي تشهد لحياة المسيح التي فيها، وفي نفس الوقت، تجدِّد قوة لتعطي من هذه الحياة لكل مَنْ يريد أن يعتمد ليأخذ ميلادًا جديدًا من ميلادها، من حياتها ومن المسيح المولود فيها!

انشودة المحبة

(القديس زينون أسقف فينيسيا القرن الرابع الميلادي)

✝ إيه أيتها المحبة! ويا لَصَلَاحكِ وسخائكِ ويا لقوَّتكِ! لا يقتني شيئًا ذاك الذي لا يقتنيكِ. أنتِ التي جعلتِ من الإله إنسانًا، بل وجعلتِه يتنازل ويتخلَّى رَدْحًا من الزمن عن جلال عظمته. أنتِ التي جعلتِهِ يظل منحبسًا تسعة أشهر في بطن عذراء. ففي العذراء (بولادتها الرب يسوع) أبرأتِ حواء، وفي المسيح (بفدائه) جدَّدتِ آدم.

✝ أنتِ التي أعددتِ الصليب لأجل خلاص العالم الذي قد ضلَّ. وأنتِ التي جرَّدتِ الموت من سلطانه، عندما اقترحتِ على الإله أن يموت (من أجل خليقته)، وبفضلك حينما قُتِلَ الإله ابن الإله الكلِّي القدرة على أيدي البشر، لم يتحرَّك بالغضب أيٌّ منهما.

✝ أنتِ تصونين حياة مَن يطلبون الوطن السمائي (عب ١١: ٢٢،٢٣) عندما توطِّدين السلام، وتحفظين الإيمان، وتحرسين الأبرياء، وتكرِّمين الحق، وتتمسكين بالصبر، وتجدِّدين الرجاء.

✝ مِن أُناس متباينين الخصائل والأعمار والقدرات، ولكن جُبِلوا

من نفس الطبيعة؛ جعلتِ منهم روحًا واحدًا وجسدًا واحدًا.

✝ أنتِ لم تسمحي أن الشهداء الأمجاد يحيدون عن اعترافهم بمسيحيتهم، تحت تهديد أي نوع من العذاب، أو أي لون جديد من الموت، أو تحت إغراء أي مكافأة أو مجاملة، أو عاطفة حب قد تكون أشد قسوة على النفس من أي تعذيب آخر.

الصلاة الحارة

للقديس يوحنا الذهبي الفم

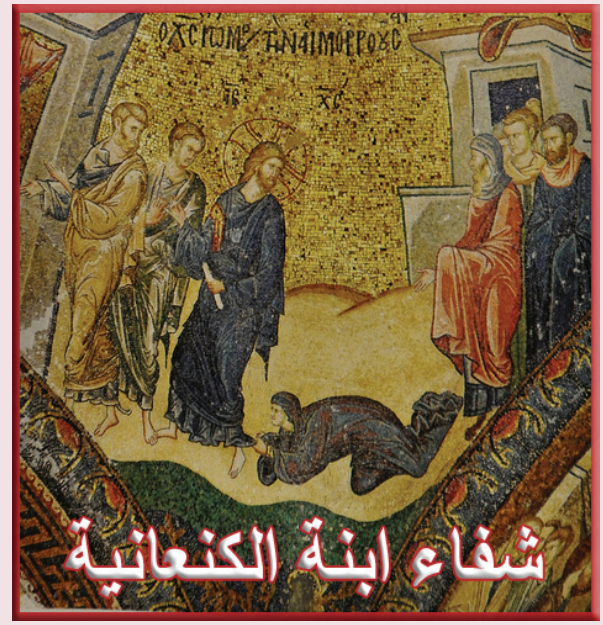

« حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ » (متى ١٥ : ٢٥). قد نكون نحن المسببين لهلاكنا لأننا لا نصلّي إلى الله، ولا ندعوه كما يجب فإنْ تقدَّمْنا إليه نتقدّم خالي البالِ وغيرَ مؤمنين بالحصول على ما نسأله. أما العليّ فيرغب في أَنْ نتوسّل إليه باخلاص ليظهر لنا رحمته العظيمة، لأنه المدين الوحيد الذي يعطينا ما لم يستقرضه منا: وإذا أمهل الآب السماوي العطاءَ فليس لعدمِ رغبته بل لنبقى قريبين منه كما يفعل الآباء المحبّون المبطئون بالعطاءِ، لحكمة منهم ليبقى أولادهم تحت عنايتهم مدّة أطول. ولقد ضرب المسيح المخلص المثَل عن ذلك الصديق الذي جاء ليلًا يطلب الخبز. إن الذي لم يَخَفْ سلطةَ الحاكم ولم يخجل من قوله أمام أحد قد ثبّت تعاليمه بالعمل، إذ صرف المرأة الكنعانية واهبًا إيّاها هبات عظيمة. لقد أظهر لنا السيّد في قصة هذه المرأة أنه يعطي سائليه بإخلاص. انه قال: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ»، ولكنه أعطى المرأة المذكورة ما سألته بحرارة فنالت ما ليس لها. وَحَصَلت الكلابُ على مُخَصَّصَاتِ الأبناء.

لا يقل أحد إن الله لا يحبني لأنه لم يستمع لي، فلو تضرعنا إليه بلا فتور لأجاب طلبنا على الأقل لأجل سؤالنا المتواصل. ولا يَقُلْ أحد منكم انني لا أستحق، ولذلك لا أتجاسر على الطلب. إنني خاطىء فلا أقدر أن أتوسّل إلى الذي أغضبتُهُ. إن الله لا ينظر إلى الاستحقاق بل إلى حالة النفس. إن كانت الأرملة قَدِرَت أن تُلَيِّن قلب الرئيس الفاجر الذي لا يعرف الله، فكم بالحري الصلاة إلى الله بلا انقطاع؟! أفلا نستَميلُهُ إلينا؟ لنفرض انك عدو وانك تطلب ما لا تستحق! لنفرض انك بذرتَ ميراثَ أبيك وتغيبتَ مدة طويلة، لِنَفْرِضْ انك جئت إلى العليّ بهيئة ذميمة أردأ من الجميع، لنفرض انك جئت إليه وقت غضبه عليك، صمِّم النيّةَ على رجوعك إلى الآب الرحيم، تحصل على ما تريد لأنك إنْ جئتَ على الصورة المذكورة تلاشي الغضب السماوي حالًا. ربما تقول انني أُصلي لكن بلا نجاح، فصَلاتُك **لا تشبه إلحاح الكنعانية وملازمتها** ولا مجيء الصديق في غير أوانه، ولا إصرار الأرملة على الحاكم، ولا تضرّع الابن الشاطر الذي بذّرَ ميراث أبيه. فلو صلَّيتَ مثل هؤلاء لحصلت على ما تطلبُ حالًا لأنَّ الله أَبٌ يحب أبناءه محبة شديدة ولو كان في حالة غَضَبِهِ. إنَّ الله تعالى لا يفتش عن الاهانة ليعاقب عنها بل عن رجوعك إليه متوسلًا.

ليت حرارة محبتنا كحرارة رأفة الله ومحبته لنا، إنها لنار كامنة، تنتظر منا الشرارة لتضطرم. فنحن مع كوننا أشرارًا، نتألم من أجل أبنائنا وَنَغُضُّ الطَّرْفَ عن سيئاتهم. فهل يا ترى يغضب الإله على الأرضي إن أَسْخَطَهُ؟ وإذا كنا نحن الذين نحب محبة طبيعية نتألم من أجل أولادنا، فكم بالحري يكون ألم الذي يحب البشر محبة خارقة الطبيعة؟ إنه لم يتألم لأجل إهانته بل لأجل **وقاحتنا**. فالسيّد يقول: «هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لَا أَنْسَاكِ.» (إش٤٩: ١٥) وعليه فَلْنَبتَهِلْ إلى العليّ صارخين: « وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!» (متى١٥: ٢٧). لنتقرَّب من الله – عزّ وجل – دائمًا، وليس في مناسبات خاصة وحسب. وقد شهد نبي الله بِأَنَّ العليّ مستعد أن يحسن إلينا دائمًا بقوله: «لِنَعْرِفِ الرَّبَّ. خُرُوجُهُ يَقِينٌ كَالْفَجْرِ.» (هوشع٦: ٣). فمهمَا أَكْثَرْنَا التردّدَ على العليّ بالسؤال نجده بانتظارنا، فاذا كُنَّا لا نستفيد من ينبوع رحمته الذي لا ينفد، فالذنب ذنبنا.

لقد قال السيّد مُوَبِّخًا اليهود: «إِنَّ رَحمَتَكم كغَمامِ الصَّباح وكالنَّدى الَّذي يَزولُ بَاكِرًا.» (هوشع ٦: ٤). فمعنى هذا القول: إن كنت تَمَّمْتُ كل شيء من جهتي، لكن الشمس المحرقة إذ تشرق تبدّد السحاب والندى، وهكذا أنتم، فإنكم توقفون سخائي غير المحدود بسبب شرّكم العظيم، فالسيّد حينما يرانا غير مستحقين يوقف هباته فورًا حتى لا نصبح عديمي الشكر. فلو راجعنا أفكارنا قليلًا لعرفنا خطأنا. ومتى اعترفنا بالخطيئة يسكب الله علينا رحمته الغنية العظمى. وهكذا، كلما أخذنا منه بكثرة يشتدّ سروره وَيُعِدُّ لنا هبات جديده وافرة. ولذلك يقول رسول المسيح: « لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ.» (رومية ١٠: ١٢). فاذا لم نُصَلِّ نُغْضِب إله المراحم، وإذا لم نسأله يبتعد عنا ويتحوّل. لقد افتقر حتى يعطينا الغِنَى. قد تَحَمَّل كل شيء حتى يجبرنا على الصلاة. فلا يجوز لنا أن نيأس ولو أخطأنا يوميًا، فلنبتهل إليه ونصلّ بحرارة لأجل خطايانا. بهذا نبتعد عن الخطيئة ونطرح روح الشرّ عنا، ونجذب رحمة الله إلينا، ونحصل على الخيرات التي لا توصف بنعمة سيّدنا يسوع المسيح، ومحبته للبشر الذي له المجد والملك إلى دهر الداهرين آمين.

أنا عبدٌ معَـكَ

بقلم أيكومنيوس (القرن السادس)

«فَخَرَرْتُ أَمَامَ رِجْلَيْهِ لأَسْجُدَ لَهُ، فَقَالَ لِي: «انْظُرْ! لاَ تَفْعَلْ! أَنَا عَبْدٌ مَعَكَ وَمَعَ إِخْوَتِكَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ. اسْجُدْ للهِ! فَإِنَّ شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ» (رؤ ١٩).

يفهمُ اليونانيون البائسون أن عندنا عقيدة مقدسة تنص على أن الملائكة القديسين –بسماح من الله– هم حراس الأمم والكنائس وكل واحدٍ منَّا.

كتب دانيال في حكمته الرَّفيعة عن الأمم قائلًا: «وَأَنَا أَتَيْتُ لأَجْلِ كَلاَمِكَ. وَرَئِيسُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ وَقَفَ مُقَابِلِي» (دا١٠: ١١)، وأيضًا يقول: «فَالآنَ أَرْجِعُ وَأُحَارِبُ رَئِيسَ فَارِسَ. فَإِذَا خَرَجْتُ هُوَذَا رَئِيسُ الْيُونَانِ يَأْتِي.» (دا ١٠: ٢٠)، وأيضًا: «وَلاَ أَحَدٌ يَتَمَسَّكُ مَعِي عَلَى هؤُلاَءِ إِلاَّ مِيخَائِيلُ رَئِيسُكُمْ» (دا ١٠: ٢١)، «وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ» (دا ١٢: ١).

وسفر الرؤيا قد تحدث عن حرَّاس الكنائس (ملائكة الكنائس)، والذي بشأنه يَتَّفِقُ **القديس غريغوريوس (النزينزي)** عندما كتب عن الملائكة القديسين قائلًا: «أنا أؤمن أن هناك ملاكًا حارسًا لكل كنيسة، كما يعلمني يوحنا من خلال سفر الرؤيا». وتكلم النبي عن الملائكة كحراس لكل شخص قائلًا: «مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ.» (مز٣٣: ٧)، والرسول أيضًا كتب عن الملائكة القديسين: «أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!» (عبرانيين ١: ١٤).

عندما يسمع اليونانيون أن هذه الأشياء تُدرس كمعتقدات تخص المسيحيين، يقولون لنا: **"لماذا يا زملاء تنزعجون هكذا من معتقداتنا التي تخصص آلهة كحكام فوق الأمم، إذا كنتم أنتم أيضًا لكم نفس المعتقد؟! هؤلاء الذين تدعونهم ملائكة، نحن ندعوهم آلهة، نحن نختلف فقط على التسميات، وليس على الحقائق، وبما أنكم تقولون أيضًا إنَّ رتب الملائكة تدعى آلهة بِمراتبها، فالاختلاف لم يعد حتى بشأن الأسماء".**

يجب أن نجاوبهم هكذا: «أنتم ملعونون، لأنكم من ناحية تعبدون أعمال أيديكم، ومن الناحية الأخرى نصبتم كآلهة – فقط أمس وأول من أمس – أولئك الذين تعلمون أنهم مرتبطون بكل نوع من الأعمال المُشِينَة. لقد سرقتم معظم تعاليمنا الإلهية، أخذتموها ومزجتموها بتعاليمكم المميته. ولكونكم أتبعتم منطقكم البشريَ

مرشدًا وليس الله، لم تستطعوا أن تحافظوا على سمو تعاليمنا وتميزها، بل بعد محاولة إتباعها لمسافة قصيره تحطمت بكم السفينة بالقرب من البداية. لذلك لا شيء مشترك بيننا وبينكم، تمامًا كما يقول الكتاب: «وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟» (٢ كو ٦).

لأنكم عندما تفكرون في آلهتكم الوطنية – بالرغم من أنهم حقًا شياطين نجسة – تكرمونها وترغبون في عبادتها كآلهة، وعندما تؤلهونها لا تحسبون أي حساب لله الذي يرعى بني البشر ويدبر احتياجاتهم، لكنها تحكم الأمم بمحض إرادتها كيفما أرادت. لذلك وزعتم على آريز *Ares* بلاد الألمان والسكيثين الوحشيين المتعطشين للدماء، الذين صاروا هكذا تحت حكم هذا القاتل آريز مصدر شقاء البشر. وخصصتم لليونانيين بسبب ذكائهم آثينا *Athene* وكأنهم قد استمدوا ذكاءهم منها. وتعاملتم بالمثل مع الآخرين مخصصين الآلهة للأمم، كل بحسب ميوله الطبيعية.

لكنكم سوف تفهمون ما نقوله من الآية التي نحن بصددها. عندما أراد يوحنا الإنجيلي أن يسجد للملاك المقدس، دون اعتباره إلهًا – فمن يعرف أفضل من يوحنا من هو الله بالحق والطبيعة، ومن هم الملائكة، الذين هم خدامٌ وعبيدٌ ومخلوقات الله – بالرغم من ذلك، نرى الملاك يرفض السجود المناسب لملاك – إذ أن هذا شكل من أشكال العبادة – بل قال: « لاَ تَفْعَلْ! أَنَا عَبْدٌ مَعَكَ وَمَعَ إِخْوَتِكَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ».

«لا تفعل ذلك»، إنها ليست مجرد عبارة تمنع تصرفًا ما، لكنها شهادة إيجابية وتوكيد. يقول أنه هو نفسه "عبد رفيق" مع كل الذين يُقِرُّون بأنهم عبيد للمسيح ويشهدون بأنَّ الله قد تجسد.

ماذا إذن نفعل أيها الملاك المقدس عندما ترفض السجود؟ يقول لنا: "أسجد لله، فإن شهادة يسوع هي روح النبوة"، وكأنه يقول: "هل تحاول أن تسجد لي، لكوني أخبرتك مسبقًا بأمور سوف تحدث في المستقبل؟ أن كل أولئك الذين يؤمنون ويشهدون بسلطان وإلوهية المسيح مملوءون بالنعمة، والأمر لا يختص بي أنا فقط. لماذا إذًا تسجد لشخص قد أعطي ذات النعمة التي أعطيت للعبيد رفاقِهِ؟

هل ممكن إذًا لمعتقدات اليونانيين بشأن أولئك الذين يجعلونهم يحكمون الأمم، أن تكون مماثلة لما يقوله المسيحيون عن الملائكة المُقَدَّسِين؟!!

أعرف نفسك

للقديس باسيليوس الكبير

إنَّ الله عندما خلقنا وَهَبَنَا مَلَكَةَ الكلام حتى نبادل بعضنا بعضًا أفكار قلوبنا، وحتى يشاطرَ كلٌّ منا قريبه بهذه المبادلة مُظهرين للنُّور ما نُبَطِّنُهُ في القلب من أفكار وكأنه كنزٌ من الكنوز. فلوْ كُنَّا لَعَمْرِيَ، أرواحًا مجرّدة لا تتصل الواحدة بالآخرَى مباشرة، ولكن بما أن نفوسنا متلبّسة بكثافة الجسد، فانها تولّد أفكارًا تفتقر إلى الجُمَل والتعابير لِتُفْصِحَ عن المكنون في داخلها. وحينما يستعير فكرنا نبرات صوتية للإفصاح عن مكنوناته فالهواء يحمل الكلام، كأنما هو في قارب، ويصل من القارئ إلى أُذن السامع. فإن لَقِيَ ثمة هدوءًا وسكونًا عميقًا، رَسَا في آذان المستمعين كما يَرْسُوْ الزورق في المرافئ الآمنة. ولكن إذا هَبَّتْ دونَهُ جلبةُ السامعين كزوبعة هوجاء، فانه يضيع في الهواء. إذن فَلْيُخَيِّمِ الهدوء بصمتكم عند كلامي، فلربما بدا لكم شيء نافع وجدير بالحفظ.

كلام الحقّ عسير التناول ولذا، فهو يفرّ بسهولة من الغافلين. فالروح المدبّر قد أوضح بكلمات قليلة ومقتضبة معاني جمّة، كي تَعْلَق بالذاكرة بسبب إيجازها. فانه من شرط بليغ الكلام ألّا تختفي معانيه بالعبارات، أو تزدان بالألفاظ النافلة فتشبه الأثواب الفضفاضة. وأما الآية التي تُليت عليكم، منذ بُرْهَةٍ، من سفر موسى فلا شكَّ أنكم تذكرونها جميعًا لأنكم تصغون، هذا إن لم تكن قد تاهت عن آذانكم لأجل قِصَرِهَا. وهذه الآية. هي: «**راقب نفسك، كي لا يكون إثمًا الفكر المخفي في قلبك**» (تثنية ١٥:٩).

اننا، نحن البشر، محمولون على ارتكاب الإثم في فِكْرِنَا. لذلك فالذي جبَلَ وحدة قلوبنا، والذي يعلم أن أكثر خطايانا ينجم عن فِكْرِنَا، ويتمّ بالنِّيَةِ، قد حذّرنا أولًا أن نضبط عقولنا بطهارة كليَّة. لِأَنَّنَا نقترف الإثم بسهولة تامة، وهذا ما يستدعي قسطًا وافرًا من الانتباه والسَّهر. فكما ان أطباء الأجسام المتيقظين يشدّدون ضعفاء البُنيَةِ، ويتلافون الطوارئ بحميةٍ واقية، كذا هو طبيب النفوس الحقيقي، الذي يرى الجميع بِنَظَرِهِ ويعرف أننا سريعو الزَّلَلِ، قد سبق فحذَّرَنا من الإثم باحترازات جدّ قوية، لأن أعمال الجسد تقتضي حتى تتمّ زمانًا ومشقة وفرصة ملائمة وعونًا من سائر الأعضاء، إلى غير ما هنالك، وأمّا خطرات الفكر فتتولّد فورًا وتحدث بلا جهد، وتتمّ بلا صعوبة وكل وقت يوافقها.

لا يندر أبدًا أن نرى، بعضًا من المغرورين بذواتهم لكرم أخلاقهم، السادلين نقاب التواضع على ظاهرهم، ينجذبون – وهم جالسون وسط من يشيدون بمناقبهم – **بفكرهم نحو الخطيئة**، بخفقة قلب خفيّة، فينظرون بخيالهم موضوع أشواقهم، ويتصوّرون علاقات أو أحاديث أثيمة. وفي الداخل وعلى مسرح قلبهم السِّرِيّ، بعد أن يصوّروا اللذة في داخلهم بكل جلاء، يقترفون الإثم دون رقيب أو بصير «إلى أن يأتي الذي سينير خفايا الظلام، ويوضح أفكار القلوب» .

فاحذر إذن كي لا يكون الفكر الخفي في قلبك إثمًا. «لِإِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (متى ٥ : ٢٨). ومن حيث أن أعمال الجسد تجابه العقبات الجمّة، في حين أنّ من يخطئ بالشوق يرتكب إثمه بسرعة توازي سرعة الفكر، لذلك أعطانا الله عزّ وجلّ، دواءً واقيًا وسريع الفعالية إذ شهد وقال: **احذر أن يكون إثمًا الفكر المخفي في قلبك** .

ولكن الأَوْلى بنا أن نعود إلى ما قدّمنا به كلامنا في مستهل هذا الخطاب. يقول كتاب الله العزيز: «**تأمّل ذاتك**». ان كل حيوان يدبّ على وجه الأرض له بين يديه، من جودة الإله الذي سوّاه، جميع المبادئ الضرورية لصيانة كيانه وحفظه. واذا أنعمت النظر، تتحقق أن السواد الأعظم من البهائم، يحجم غريزيًّا مبتعدًا عن كل ما يضرّه ويؤول عليه بالوبال، ويميل بالعكس بارتياح شديد إلى الاستمتاع بكل ما يعود عليه بالنفع والفائدة. لذلك فالله تعالى الذي أخذ على عاتقه إرشادنا، قد أعطانا هذه الأمثولة الجليلة، بمعنى أنَّ ما تأتيه هذه الكائنات بدافع الغريزة، نأتيه نحن بإرشاد العقل وبإشرافه، وحتى أن ما يتيسّر لها بلا فطنة ولا مشقّة، يتيسّر لنا نحن بأعمال الفكر وإجهاد الدماغ، وحتى نحافظ أيضًا بحرصٍ على ما غرسه الله فينا من المَلَكَاتِ والمبادئ، مُعْرِضِينَ عن الإثم كما أَنَّ البهائم تعرض عن العلائف والنباتات السامّة، تواقين هيامًا إلى البِرِّ، كما البهائم تتوق إلى المراعي الخصيبة اليانعة. **تأمل إذن ذاتك** حتى تكون جديرًا بأن تميّز بين ما يجلب لك الضَّرَرَ، ويوردك التهلكة، وبين ما يقودك إلى الخلاص والنجاة.

ولكن بما أن النظر في الذَّاتِ يأتي على وجهين: الأول ويُراد به التحديق بالعيون الجسدية إلى الأشياء المنظورة، والثاني هو عبارة عن توجيه البصيرة بقوى النفس الروحية إلى التَّبَحُّرِ في الأشياء التي جسّد لها، فان زعمنا ان هذه الوصية ملقاة على العينين لأدركنا حالًا وسريعًا أنها فوق الطاقة، لأنه كيف يمكن لأحد أن يحتوي ببصره كل كيانه؟ لأن العين لا يمكنها أن ترى نفسها. فهي لا تمتد إلى الهامة ولا تعرف ما هو الظهر وما شكل المُحَيَّا، ولا كيفيّة تنسيق الأحشاء في الداخل. فيكون من الكُفْرِ إذن أن نقول ان شرائع الروح القدس مستحيلة وفوق الطاقة.

بقي الآن أن نفهم ما تتضمنه هذه الوصية، باعتبار أنها موجّهة إلى الروح. «**تأمّل ذاتك**» أعني راقبها من جميع الأنحاء، ولتكن بصيرة نفسك يَقْظَى لتتعهدك بالسَّهَرِ. «انك تجوز وسط الفخاخ» (حكمة ٩ : ٢٠). والعَدُوُّ قد نَصَبَ الحبائل، مخفية تحت الثرى، ومدّها لك من كل صَوْبٍ وجهة. فارْعَ نظرك إذن إلى كُلِّ شيءٍ حتى «تخلص مثل الظبي من الأشراك ومثل العصفور من الحبائل» (امثال ٦ : ٥). فانه لا سبيل إلى قنص الظبي بالأشراك لِحِدَّةِ بصره. وأما العصفور، فلخفّة جناحيه، يرتفع إلى علو شاهق يجعله بمأمن من مطامع الصيادين، اللّهم إذا أخذ حذره وانتبه لذاته. فاحذر أن تبدو أقل سهرًا على ذاتك

من سائر العجماوات، خشية انك إذا ما تَعثَّرتَ في هذه الحبائل، تغدو فريسة الشيطان «عبده وطوع مشيئته» (٢تيمو ٢: ٢٦).

«تأمّل ذاتك». أعني تُلاحظ ما بين يديك أو حواليك، لكن لاحظ ذاتك فقط. لأننا نحن شيء، وما هو تحت حوزتنا أو يحيط بنا شيء آخر، فنحن على مثال خالقنا، فُطِرْنَا من نفسٍ وروحٍ. ما نملكه هو الجسد وحواسّه، وما يحيط بنا فهي الأموالِ والأشغالِ وسائر حاجيات الحياة. فما معنى هذه الآية إذن؟ معناها أَنِ ٱسْتَخِفَّ بالجسد، ولا تبالِ به ولا تَجِدَّ في طلب ما يطيب له، من صحةٍ أم من جمالٍ أم من طولِ عُمْرٍ. ولا تُعَلِّلْهُ بلذائذ الشهوات. ولا يغرنَّكَ النّضار والمجد والعظمة والجبروت. ولا تأبه كثيرًا لأمورٍ جُعِلَتْ لخدمة حياة زائلة، فتستعظم شأنها، ولا تهمل انصبابك عليها، نفسك التي تخصّك دون سواها. لكن **«تأمّل ذاتك»** لا غير. زيِّنها واعتنِ بها، وامحُ عنك بدأبك، كل شرّ لطَّخها به الإثم ، وكل وصمة لوَّثَتْهَا بها الخطيئة. لا بل حاول أن توشِّيها لتتلألأ بهاءً، وتتدفّق بنور الفضيلة وسَنَاها. ادرس ذاتك مَن أنت يا ترى، واعرف ما هو جوهرك. ان جسدك هو **رهن الفناء**، وأما نفسك فهي **بنت الخلود**. واعلم أن لنا حياتين: حياة جسدية سريعة الزوال، وحياة أخرى روحية لا تعقبها نهاية، ولا يعتريها فناء.

لاحظ ذاتك ولا تتعلّق بالزائلات على أنها خالدة. ولا تعبث بالخالدات على أنها هدف لصروف الزمان وتقلّبات الدهر. إِسْتَخِفَّ بالجسد فهو سريع الزوال. وعليك نفسك، اعتنِ بها فهي لعمري الخالدة دون سواها. **اعرف ذاتك** بكل دقة ووضوح حتى تعلم كيف تمنح لكلّ ما يفيده، فللجسد القوت واللباس، وللنفس تعاليم البِرِّ والسيرة الصالحة والانقطاع إلى الفضيلة وتقويم ما اعوجّ من الأهواء. لا تُرَفِّهِ الجسد ولا تسعَ بافراط وراء التُّخَمَةِ «لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ» (غلا ٥: ١٧)، فاحذر أن يَعْلَقَ حُبُّ الجسد في فؤادك، فينشغف به ويتولى ما هو أحطّ قدرًا ومنزلة زمام السِّيادة والسُّلطان. انه كما يجرى الأمر في كفَّتي الميزان، إن ثقلت كفَّةٌ خَفَّت الثانية دونها وزنًا، كذلك شأن الجسد مع الروح، فشَبَع الواحد هو حتمًا فاقة عند الآخر. ان رتَعَ الجسد على أَسِرَّةِ الملذّات، وَتَهَدَّلَ من فرط السُّمْنَة، فلا بدّ للروح عندئذٍ من أن تضمر ويحلّ بها السُّقَام.

إن هذه الوصية بعينها تلائم ضِعَاف البُنْيَةِ وأقوياءها. فالأطباء يفرضون على المرضَى عندما تحلّ بهم الأمراض أن يهتموا هُم أنفسهم بأَجسادهم، وأن لا يهملوا ما يمكنه أن يعود عليهم بالنجاعة. كذلك **«الكلمة»** الذي هو طبيب نفوسنا الحقيقي، يشفي النفس التي لوّثتها الخطيئة بفضل هذه المعونة المتواضعة. **«اعرف نفسك»** حتى تُوَفِّقَ بين نوعية إثمك وكيفيّة مداواته. فإن كان عظيمًا مميتًا، فأنت بحاجة ماسّة الى اعتراف جِدّي، وعَبَرات مُرَّةٍ، وَأَسْهَارٍ متواصلة، وأصوام لا تنقطع. وان كانت زلّتك عرضية فلتعادلها توبتك. فقط **«اعرف ذاتك»** لتدرك إن كنت سليم النفس أم عليلها، لأن كثيرين من المرضَى المصابين بِعِلَلٍ عُضَالة فتّاكة،لا يعرفون البتة أنهم مرضى، لِعِلَّةِ تغافلهم وَقِلَّةِ اهتمامهم. فعظيمة إذن تلك الفائدة التي يجتنيها أصحّاء الأبدان من هذه الوصية، في أيّة حالة كانوا، فهي تشفي مَن كان سقيمًا، وتصون مَن هو كامل العافية. فإنّ كُلًّا منا، نحن المتتلمذين **«للكلمة»** يعتبر خادِمَ واحدةٍ من المِهَنِ تلك التي عيّنها لنا الإنجيل. وذلك البيت الكبير، الذي هو الكنيسة لا يجمع بين جنبيه أواني من كل صنف: من ذهب أو فضة أو خشب أو خزف فحسب، بل يضمّ كذلك شتى الفنون والمهن. فبيت الله، الذي هو كنيسة الله الحيّ يسجّل بين صفوفه صيّادين، مسافرين، مهندسين، بنّائين، حرثة ورعاة، جنودًا ومصارعين. وهذه الآية الوجيزة ستلائم جميع هؤلاء موضحة للكافة بأجلى بيان، ما يحتم على كُلِّ واحدٍ من الدقة والغيرة عند القيام بعمله. هل أنت صياد أرسلك الرب الذي قال: «هاءنذا مرسل صيادين كثيرين فيقنعونهم عن كل جبل» (ارميا ١٦:١٦). فترقّبْ بكل عناية مخافة ألّا تفلت طريدة واحدةٌ فيقنصوهم. حتى اذا ما انتزعتها بكلام الحق من الرذائل المتحكمة بها، تقودها إلى ما فيه خيرها. أأنت مسافر نظير ذاك الذي كان يصلي: «ثبّت خطواتي» (مزامير ١١٨ : ١٣٣)، راقب ذاتك كي لا تتيه عن جادّة الطريق، أو تميل يَمْنَةً أو يَسْرَةً، بل سِرْ في ٱلطريق السُّلطانية. أيها المهندس ضع أساس الإيمان الذي هو **المسيح يسوع** واجعله وطيد الأركان راسخًا. أيُّها البَنَّاء انظر إلى ما تبنيه كي لا يكون خشبًا أو هشيمًا أو تبنًا، بل «ذهبًا أو فضة أو حجارة ثمينة» (١ كور ١٢:٣). أيها الرَّاعي، لاحظ ذاتك كي لا تهمل فرضًا من فروضك الرعائية. وما هي تلك الفروض؟ **انها هَدْي الضَّال، وتضميد الجريح، وشفاء المريض**. ايها الحارث أَغْرِقْ حول التينة المجدبة وقدّم لها كلّ ما يمكن أن يساعدها على الإنتاج والعطاء. أيها الجندي. «اشترك في مشقّات الإنجيل» (١تيمو١: ٨)، وَأَبْلِ بلاءً حسنًا ضدّ أرواح الشّرير، وأهواء الجسد، خذ سلاح الله الكامل، ولا ترتبك بهموم الحياة لترضي الذي جنّدك. أيها المصارع لاحظ ذاتك، كي لا تتعدى نواميس هذه الرياضة. فانه لا أحد ينال الاكليل ما لم يجاهد جهادًا شرعيًا. تشبَّه ببولس الرسول الذي جاب الأقطار وجاهد وصارع. أما أنت فَٱحْرِصْ ولا تَغُضَّ الطَّرْفَ عن نفسك شأن المصارعين المحنّكين. صن بساعديك الأعضاء الرئيسة، التي هي هدفٌ لسهام العدوّ. واجعل نظرك شاخصًا أبدًا نحو خصمك. وفي عَدْوِك حدِّق إلى الأمام. وهكذا سِرْ حتى تحوز قصب السَّبْقِ. صارع في الحرب الأعداء غير المنظورين، وأما غرض هذه الكلمة الأوحد فهو ألّا تكون في حياتك مُجَنْدَلًا على الحضيض أو نائمًا، بل أن تكون ثابت القَدَم، نابذًا عنك الكرى (النُّعاس) ، مُكِبًّا على درس ذاتك بالحكمة والسَّهَر.

إن هذا اليوم قصير، فانه لن يسنح لي أن أُعَدِّد للقائمين بمهام إنجيل المسيح جميع واجباتهم، كما لن يسنح لي أيضًا أن أُبيّن قوّة هذه الوصية، وكيف أنها توافق الجميع بلا استثناء. **«لاحظ ذاتك»**، كُنْ فَطِنًا ذا حِنْكَةٍ واستشر في أمورك. احرص على ما تملك، متوقعًا أيّ شيء قد يطرأ عليك، ولا تفقد باستهتارك ما أنت حاصل عليه، ولا تعلّق آمالك بما لم يحصل حتى الآن –ولربما لن يبرز قط إلى حيّز الوجود– كأنه قد صار في قبضة يدك. أوَليس أمرٌ بديهيّ أن يحلّ هذا الدّاء بالشّباب،

وهم الذين لِخِفَّةِ عقولهم، يظنُّون أن ما يرجونه قد صار في حوزتهم. فانهم والحقُّ يُقَالُ، عندما ينعمون براحة البال وسكونِهِ يتخيّلون أوهامًا باطلة لا قِوَام لها، ويتنقلون بسرعة الفكر إلى هذه التخيُّلات، فيحلمون بغرور الحياة وبزيجةٍ شريفةٍ ونسلٍ كريمٍ، وبشيخوخة متأخرة، واجماع الكل على اجلالهم وتقديرهم. لكن لأنهم لا يستطيعون التوقف عند هذه الآمال، يأخذهم الزُّهُوُّ، حالمين بالوظائف البشرية العالية، فيبنون القصور الجميلة الشاهقة ويفرشونها بأفخر الرياش وأجوده، ويحوطونها بالرياضِ الغنّاء، ويفضي بهم الغرور إلى أنهم يفصلونها عن فلك محيطهم الأرضي. ثم يجمعون هناك غِلالَهم في أهراءٍ خيالية. ويضيفون لها مواشي وعددًا وفيرًا من العبيد والإماء. ثم يضيفون إلى هذه كلها الوظائف المدنية، وقيادة الشعوب، والجيوش والحروب، والانتصارات، وحتى المُلْك عينه. ويحلّقون فوق هذه الأشياء جميعًا بباطل أفكارهم الفارغة، حتى انه يتراءى لهم أنهم قد بدأوا ينعمون بما يرجونه، كأنهم قد ظفروا به وأمسى تحت أقدامهم. ان هذا الدَّاء، هو داء نفس مريضة بطّالة، تحلم بأمور كهذه بينما يكون الجسم مستيقظًا واعيًا.

فهذه الآية تحطّ من عَجْرَفِةِ الرُّوح، وَتُنْزِلُ من عُلْوِاءِ الأفكار الجامحة، وتكبح وتردَعُ تقلّب الأفكار وعدم ثباتها، وتدلي بهذه الوصية السَّديدة قائلة: «**تأمل في ذاتك**» ولا تحلم بما هو غير موجود، لكن استعمل ما هو حاضر في سبيل منفعتك وخيرك. وأظنّ أن مُشْتَرِعَ الناموس قد عَمَدَ إلى هذا التحريض ليستأصل منّا هذه العادة الذَّميمة. لأنه أسهل على المرءِ أن يُنَقِبَّ بفضول، عن شؤون غيره من أن يهتم بأمور نفسه. وحتَّى لا نقع بهذه الأحبولة قال لنا: كُفَّ عن التنقيب في زلّات غيرك، ولا تعطِ سبيلًا لأفكارك حتى تبحث عن عيوبه، بل بالأحرى «**راقب ذاتك**»، أعني أَجِلْ بصيرتك بدرس ذاتك. فما أكثر الذين حسب قول الربّ (متى ٧: ٣)، ينظرون إلى القذى في عين أخيهم ولا يفطنون إلى الخشبة التي في عيونهم. فلا تَكُفَّ إذن عن درس ذاتك لترى إن كنت سالكًا بمقتضى الناموس. إنما لا تندفع إلى الأمور الخارجة، ولا تَجِدَّ مُنَقِّبًا لتعثر على عيب في قريبك مثل الفريسيّ المتكبر، المغترّ بنفسه، الذي أقبل ليزكّي نفسه، ويمتهن العشّار بازدراء. لا تَمَلَّ مناقشة ذاتك الحساب، فلعلّك قد أَخطأت برغباتك، أو أن لسانك قد سَبَقَ فكرك. أو لعلّ شرًّا صدر عنك، فان وجدت في حياتك آثامًا كثيرة (**وستجد بلا ريب لأن كل إنسان يخطئ**) قُل كلمات العشار هذه: «يا الله اغفر لي أنا الخاطئ». «**لاحظ ذاتك**». فهذه الكلمة سوف تَمْثُلُ أمامك، وتُجدِيك نفعًا إن كنت متمتعًا برغد العيش، أو كانت كل حياتك تجري كجدول عذب بصفوٍ وهناء، فتكون لك مرشدًا صالحًا يوقفك على حقيقة الأمور الدُنيوية. وعندما تكون تحت صروف الحدثان (**الحدثان = الليل والنهار، ويقصد نوائب الدهر**) تتردّد هذه الكلمة على قلبك في حينها حتى لا تذهب في سكرة المجد إلى الخيلاء والعجرفة، ولا تسقط من فرط الغَمِّ في الفشل والقُنُوطِ. هل أنت معتزّ بثروتك الواسعة؟ أم أنت متباهٍ بِحَسَبِكَ وَطِيْبِ مَحْتِدِكَ (أَصْلِكَ) ؟ أم أنت تفتخر بوطنك، وبما أنت عليه من الأناقة والجمال إلى غير ذلك من الأمجاد؟ «**تأمل ذاتك**» فانك مائت، «لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تك٣: ١٩).

انظر إلى الذين سبقوك وتمتّعوا قبلك بهذه الإنعامات نفسها، فأين هم الذين تبوّأوا المناصب المدنيّة؟ أين هم فحول الخطباء؟ أين هم الذين نظّموا الأعياد الوطنية؟ أين هم الأنام الأغنياء، أين هم ذوو الجياد المطهّمة والمُعدَّة لميادين السِّباق؟ أين هم القادة أرباب الحرب، وحكّام الولايات، أصحاب الجَوْرِ والاستبداد؟ أليسوا جميعًا غبارًا ورمادًا !؟ أليس الكل غدا أوهامًا وأحلامًا ؟ أوَليست آثار حياتهم قد انحصرت في قليل من العظام؟ طَأْطِئِ الرأس وَٱهْبِط في القبور، وحاول ان استطعت، أن تميّز بين العبد والمولى، بين الغني والفقير.. فَرِّق إن كان بمقدورك بين الملك والأسير، بين الجبار والصعلوك، بين الجميل والقبيح. وعندئذٍ إذ تقف على حقيقة جوهرك، فانك لن تشمخ بعد قط، بل انك تباشر الاهتمام بنفسك إذا كنت قد فقهت.

هل أنت من نَسَبٍ وضيع ساقط، فقير بين الفقراء لا وطن لك، ولا ديار، أم أنت سقيم الجسم عليل، تفتقر إلى قُوتِكَ اليومي، وتهلع فَرَقًا (خوفًا) أمام ذوي السُّلطان، وَجِلًا بحضرتهم أجمعين، لشظافة عيشك وبؤس حالك؟ «لأن العوز، كما يقول الكتاب، لا يقاوم الانتهار» (أمثال ١٣: ٨). فلا تيأس من نفسك لأنك لا تملك في هذه الحياة شيئًا من الموجودات التي يطمح كل امرئ إلى امتلاكها. ولا تطرح عنك كل أمل حميد، لكن ٱسْمُ بنفسك إلى ما قد أُعِدَّ لك سالفًا من الخيرات، وما هو مخزون لَكَ للمستقبل.

فأولًا أنت إنسان، وأنت وحدك بين الحيوانات مجبول على صورة الله. أفلا يكفيك هذا، إِنْ أحكَمْتَ النَظَرَ، أَنَّكَ قد جُبلت، لحسن حظك، بيدي الله الذي أبدع كل هذه المبروءات؟ وثانيًا بما انك قد فُطِرْتَ على صورة خالقك الذي صنعك أفليس بوسعك أن تُضَاهي الملائكة مجدًا بسيرتك الصالحة القويمة؟ فلقد حَبَاك الله نفسًا عاقلة بها تدركه، وتبحث بفكرك عن طبيعة الكائنات، وتجني ألذّ ثمار الحكمة. ان الحيوانات الأرضية بأسرها، داجنة كانت أم متوحشة، وكل ما يعيش في المياه، وكل ما يطير في الهواء، هي مستعبدة لك، وأنت سيّدها.

أفلم تستنبط الفنون، وتؤسس المدن، ألَمْ تبلغ إلى جميع ما هو ضروري، لا بل إلى ما يُعدّ من سبيل البذخ والترف أيضًا؟ أفلم تَشُقَّ في عباب البحار سُبُلًا سهلة بفضل فطنتك وذكائك؟ أوَلا يجود عليك البَرُّ والبحرُ بما تفتقر إليه في حياتك؟ أليس لأجلك تُظهر السَّماء والهواء ومحافل الكواكب العلوية كل ما فيها من نظام وجمال؟ فلِمَ إذن تنكسر نفسك غمًّا، ألأنك لا تملك جوادًا ذا حَكَمة فضية؟ أفليس لك الشمس التي تسكب النور عليك في عَدْوِهَا السريع سحابة النهار، أم لأنه ليس لك أوانٍ من ذهب ومصابيح من فضة؟ فلك البَدْرُ الذي ينيرك بأنواره الغزيرة. أم لأنك لا تمتطي المركبات المصفحة بالذهب؟ إنما لك قدمان، فَهُمَا مركبتك التي رافقتك من طيّ الحشا. فلماذا إذن تَغْبِطُ ذا المال الوفير، ومع ذلك يفتقر إلى اقدام غيره حتى يبرح من مكان إلى مكان؟ أو لأنك لا ترقد على سرير عاجي؟ لكن لك الأرض التي هي أثمن من العاج، لك الراحة العذبة في حضنها، والوسن الخفيف الناعم الذي لا تعكّره الهموم والأحزان. أم لأنك لا تجلس تحت مظلة مغشاة بالذهب؟ فعندك السَّماء المتلألئة بسناء كواكبها

الساطعة – هذا من الوجهة البشرية – ولكن ما يفوق هذا كثيرًا هو نزول الإله بين البشر لأجلك، وتوزيع الرُّوح القدوس، وإبادة الموت واضمحلاله. هو الأمل بالقيامة والنشور، والوصايا الإلهية التي تؤدي بك إلى الكمال. لك السبيل الذي يقودك إلى الله بواسطة الوصايا وملكوت السَّماوات المهيّأ لك، وأكاليل العدل المعدّة للذين لم يحجموا عن الفضيلة رغم ما كابدوا في سبيلها من المشاق والأتعاب.

لو كنت تلاحظ ذاتك جيدًا لوجدت حواليك هذه اللآلىء لا بل كثيرًا غيرها، ولكنت تمتعت بما هو بين يديك دون أن تغتمّ لما تفتقر إليه. وفي أيّ حَالَةٍ وُجِدْتَ، وكانت هذه الشريعة نُصْبَ عينيك، تمدّك بالغوث والمعونة. فَمثلًا هل تَمَلَّكَتْ أفكارَكَ سَوْرَةُ (ثورة) الغضب، ودفعتك إلى التَّفَوُّهِ بألفاظ بذيئة، أو إلى اقتراف أعمال وحشية ضارية؟ فإن لاحظت ذاتك، فلسوف تُخْمِدُ الغَضَبَ كما يُكْبَحُ جوادٌ حَرُون (جَمُوحٌ ، أيْ يَرْفُضُ الانْقِيَادَ)، إذ تشعر بضربات الحِجَى (**الحجى تعني العقل المتسم بـ"الفطنة" ولذلك يقال "حاجاه" أي: غالبه وانتصر عليه في فطنته.**) كأنما بجلدات السِّياط، وتلجُمُ لسانك وتفتُّ في ساعديك، فلا ترفعه على من أثَار سَخَطَكَ. واذا ما الشَّهوات الرديئة هاجت فيك وهوَت بنفسك إلى الأشواق السَّافلة، فإن عَكَفْتَ على ذاتك، وذكرت أن هذا الأمر الذي يسوّغ لك الآن مريئًا عذبًا، سينقلب فيمَا بعد إلى مرارة العلقم، وان اللذة التي يستجديها الجسد الآن في الإدمان على المنكرات، ستلد آكلةً سامةً ترعى بدننا وتذيقنا على غابر الدهر أمرّ العقاب في جهنم. وان لظى شهواتنا سَيُذْكِي اللهيبَ الأبدي. والتنعمات السَّالفة يعفى ذكرها حالًا، ويعقبها سكون داخلي رهيب يأخذ بمجامع النفس، كما أن الصمت يخيّم وجلبة الجواري المتشاجرات يكفّ عند حضور ربّة المنزل الجليلة.

«لاحظ إذن ذاتك» واعلم أن في نفسك قوّتين: قوة روحية واعية، وقوة شهوانية عمياء. فالأولى ينبغي لها أن تَتَسَلَّم زِمَام القيادة، وعلى الأهواء أن تنقاد لها صاغرة. فلا تسمح مطلقًا للقوى العقلية فيك أن تصبح عبدة للأهواء، وخانعة تحت نيرها. ولا ترفض قط أن يثور ثائر الأهواء على العقل، وان تغتصب هذه لذاتها حتى التسلّط على النفس.

ان التبصّر العميق في ذاتك ينهج لك سبيلًا كافيًا للتبحّر به تعالى، لأنه إن لاحظت ذاتك تصبح بغنى عن البحث عن الخالق في نظام الطبيعة، بل ينعم النظر في ذاتك، كما في عالم صغير، إلى حكمة الخالق السَّامية. واعلم أن الله لا جسم له، مثل النفس المنتشرة فيك والتي لا جسم لها. وانه لا يحصره مكان ما، لأن نفسك أيضًا لا تقيم بمكان خاص بها دون غيره، لكن هي محصورة في مكان لأنها متّحدة بالجسد. آمن ان الله غير منظور بتأملك بنفسك، لأن النفس لا تقع تحت حاسة العين المجرّدة، إذ لا لون لها، ولا شكل، ولا مفرغة في قالب مادي، لكنها تعرف بما تقوم به من الأعمال وحسب. وبالمعنى عينه فلا تحاول أن تبصر الله بعينيك، لكن شدّد روح الإيمان في ذهنك، وليكن عندك منه تعالى إدراكٌ روحيٌّ. أكْبِر ذلك الفنان الذي ضمّ قِوَى نفسك إلى جسدك، بحيث تصل إلى أقصى أطرافه، وتجمع كل الأعضاء، مهمَا بعدت، في شركة وائتلاف واحد. تفحّص ماهية القدرة التي يستمدّها الجسد من النفس، وما هو الانفعال والتأثير الذي تتأثر به النفس من الجسد، وكيف ان النفس بدورها تتعذّب من الأمراض التي تأتيها من الجسد، وأي خلايا عند النفس لاقتباس المعارف. وتفحّص أيضاً كيف ان الاستزادة من الاطّلاع والتوسّع في العلم لا تمحو المعارف السابقة، لكن الذكريات تلبث واضحة جليّة دون أن يعتريها أدنى تشوّش أو خلَل، بل تبقى منقوشة في الجزء الأشرف من النفس، كأنها محفورة على اسطوانة من نحاس، وكيف انها عندما تلين وتنقاد لأهواء الجسد، تفقد جمالها الخاص بها، وكيف انه إذا تطهّرت من أدران الإثم تأخذ في السعي بجدّ مشاكلة خالقها.

لاحظ، إنْ حَسُنَ في عينيك، تركيب الجسد بعد أن تأملت في خواص النفس. وأَكْبِرْ عبقرية ذلك المهندس الالهي الذي أحلّ النفس الناطقة في محل يناسب شرفها الرفيع. جبل الإنسان واقفًا مستقيمًا دون غيره من سائر الحيوانات، حتى يعرف من هيكله هذا أن أصول حياته متفرعة من فوق. لأن ذوات الأربع جميعها تطرق بنظرها إلى الأرض، وإلى جوفها، وكأني بنظر الإنسان المصوّب أبدًا إلى السَّماء، يُرْشده إلى أن لا يُرَفِّه جوفه، ولا الشَّهوات التي من تحته، لكن عليه أن يصبو، بكل أشواقه ومهجته، للارتقاء نحو العلاء. ثم بعد أن جعله مرفوع الهامة، حصر له فيها أكثر حواسّه شرفًا: فهناك البصر، والسمع، والذوق والشمّ وكلٌّ للآخر. وهي وان كانت محصورة كلها في مكان ضيق، فلا واحدة منها تعيق في شيء عمل الأخرى. فالعينان تحتلّ المرتبة الأعلى في المراقبة بمعنى أنه بفضل هذه المنزلة لا يعترضها عن إتمام عملها عضو من أعضاء الجسد الأخرى. ولكن بما انها نازلة بين الجفون كأنها في معقل، فهي مضطرة لأن تنظر إلى الأمام بفضل تلك الأهداب البارزة التي تعلوها. أما السمع فليس مفتوحًا بخطٍ مستوٍ لكنه يلتقط الأصوات من الهواء في ممرّ لولبي كثير التجاويف. وهذا التدبير نتيجة حكمة سامية، حتى يتمكن الصوت من أن يمرّ بلا عائق، أو بالحريّ أن يرنّ إذ يتصدّع بتلك التجاويف. وهكذا فلا شيء مما يحدث في الخارج يعود قادرًا أن يقف عقبة في سبيل السماع. تأمل طبيعة اللسان، كيف أنه لدن مرن، ويلبّي بدوراته المختلفة كل حاجات الكلام. وأما الأسنان وإن كانت تُحْسَبُ من أعضاء الآلة الصوتية، إلا أنها كَسُورٍ قَوِيٍّ يذود عن اللسان. وهي تستخدم أيضًا للقوت. فبعض يقطع الأكل وبعض يطحنه. وهكذا فإن أنت اعتمدت هذا الأسلوب لتتفحّص سائر الأعضاء كاستيعاب الهواء بالرئتين والمحافظة على حرارة القلب، والجهاز الهضمي، ومجاري الدماء، فمن كل هذه الأشياء تتبيّن حكمة الخالق التي لا ندّ لها ولا نظير. فتقول مع النبي: «ان عِلمك أدهشني من ذاتي» (مز ١٣٨: ٦).

«تأمّل إذن ذاتك» حتى تبلغ إلى معاينته تعالى، الذي له المجد والعزّة إلى دهر الدهور. آمين.

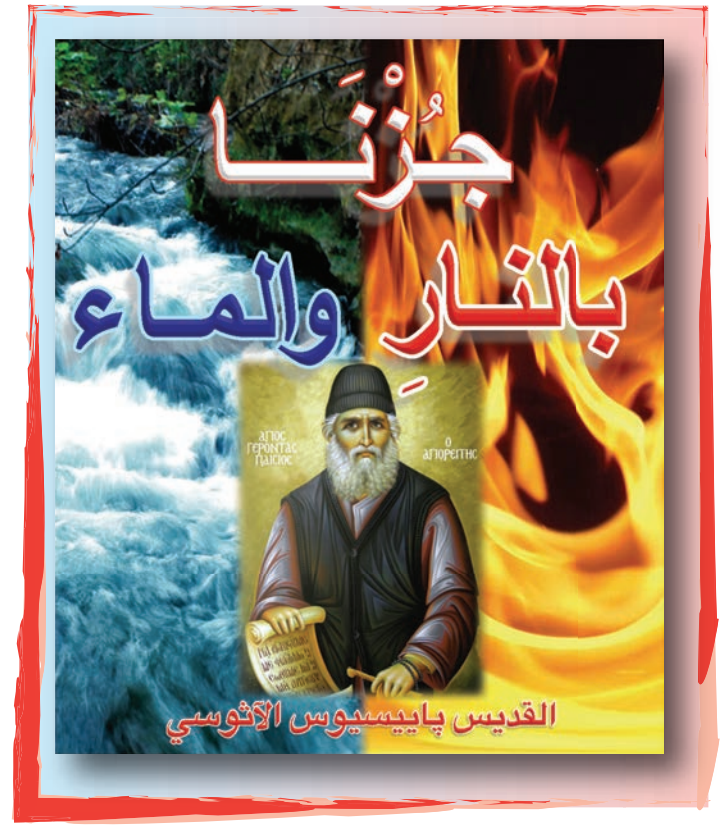

✝ الصَّبْرُ على الأَلم ✝

عندما يزورنَا مرضٌ ما، فمن الجَيِّدِ أن نُودِعَ ذواتنا للمسيح بلا شروطٍ. علينا أن نتذكَّر أَنَّ نفسَنا بحاجةٍ ماسَّةٍ للصَّبْرِ وتمجيدِ ٱللهِ في أوقاتِ الأَلَمِ أَكْثَرُ من الأوقاتِ التي يكونُ فيها جسمُنا قويًّا كالفولاذِ، حيثُ بوسعنا أن نقومَ بأعمالٍ جسديَّةٍ مُدْهشةٍ. لكنَّنا قَد نفتخرُ ونتباهى دون أن نُدرِكَ معتقدين أنَّنا رَبِحْنَا الفردوس بسيفنا (بمجهودنا) الخاصّ.

هل تعرفين منذُ كَمْ من السنين وأنا أُعاني من آلامٍ مُبَرِّحَةٍ وأحيانًا غيرِ مُبَرِّحَةٍ؟ الألم المُحتَملُ هو حالةٌ دائمةٌ. أولًا : عانيتُ من التهابٍ شُعَيِّ في الرئتيْن. وفيما بعدُ من العملية التي أُجرِيَتْ لي! ثمَّ بدأتْ معاناتي الطويلةُ من المشاكلِ المِعَوِيَّةِ. وقد قضيتُ نصف سَنَةٍ بألمٍ لا يُطاقُ بسبب الفتقِ في إحدَى الفقراتِ. في ذلك الوقتِ، لم أستطعِ القيامَ حتَّى بالسَّجَداتِ، وكنتُ أُلاقي صعوبةً في الاعتناءِ بنفسي، هذا دون أن أَذكُرَ خِدْمَةَ الناسِ الذين ظلُّوا يأتون لزيارتي لاحقًا، ظهرَتْ كُتلةٌ كبيرةٌ في بطني، وعلمتُ أنَّها فتاق. وكلَّما تَعِبتُ كانت تؤلمني وتنتفخ. في أحد الأيامِ، عشيَّة عيد القديس بندلايمون الطبيب الشافي. انتَفَخَتْ وآلَمَتْني كثيرًا. لكن كان يجبُ أن أذهبَ إلى الإسقيط لحُضور السَّهرانية، خطرَ بذهني أن أجلس قليلًا، ثُمَّ فكّرتُ، «لَوْ فتحتُ المقعد الخشبيَّ لأَجلسَ، سيفعل الجميع كذلك» ففضّلتُ ألَّا أجلس أبدًا. وبعد اثنتيَ عشرة ساعةً من السَّهرانيةِ، ظَنَنتُ أَنَّ الفتاقَ سيزدادُ سوءًا. عُدتُ إلى قلايتي، ولم أَكَدْ أَضعُ قَدَمِي فِيها حتَّى قُرِعَ الجرسُ الصغيرُ، وسمعتُ أحدهم ينادي: «افتحْ أيُّها الأبُ». فابتسمتُ وفكَّرتُ: «جَيِّد، الآن سنبقَى هكذا بلا توقُّفٍ!».

وبالفعل، أتَى مزيدٌ من الناسِ لزيارتي في ذلك اليوم. وفي المساء عندما غادَرَ آخِرُ زائرٍ، أدركتُ أَنَّ الألم قد زال كُلِّيًّا! لكن عندما أخذتُ قِسطًا من الرّاحَةِ في اليوم التالي،عاودني الألم ثانية! وبعدها، آلمني الفتاقُ وأزعجني، لكنِّي أُعجِبتُ به. فبِمَا أَنَّ المسيحَ عانَى من الآلام، فهو يعرفُ أَنَّ الوجع قد ساعدني، ولهذا السبب سَمَحَ بِهِ. دام هذا الوضع خمسَ سنواتٍ. هلْ لدَيْكِ أَدنَى فِكرةٍ عن صعوبةِ هذه السنوات ؟

✝ يارووندا، ماذا حدثَ لاحقًا عندما عَانَيْتَ من المشاكل في رِجْلَيْكَ ؟

✝ هذا كان وضعًا آخرَ، إذ لم أقدِرْ على الوقوفِ. وعندما كان الناسُ يأتون لزيارتي، أَجْبَرتُ نفسي على الوقوفِ. عندما انتهى ذلك، بدأتُ أُعاني مِنَ النزيفِ. وقد أخبروني أنهُ ناتجٌ عن التهابٍ بالقولون. وهذه قصَّةٌ أخرى، وسبع سنواتٍ أُخرى من النزفِ والأَلَمِ. لكن لا تقلقي، صَلِّي من أجل صِحَّةِ نفسي فقط. أنا سعيدٌ لأَنَّ ٱللهَ قد شَرَّفني وأعطاني هذه العطية، ولا أريدُ أن يأخذها منِّي. المجدُ للهِ. الذي سمحَ بذلك لكي أَستفيدَ بهذه الطريقةِ. هكذا نجتازُ امتحاننا في الصبرِ. أَمَّا الآن، «أَنتم محتاجون إلى الصَّبرِ» (عب ١٠: ٣٦). لأَنَّنَا إِذْ لَمْ يَكُن لدَينا الصَّبرُ على الاحتمالِ – نحنُ الذين نَملكُ مخافةً للهِ قليلةً – فماذا سيفعلُ الناسُ العائشون في العالَمِ؟ لكِنِّي أَرى الكثيرَ منَ الأشخاصِ العلمانيين وقد تفوَّقُوا علينا، نحنُ الرهبانَ بفضيلتهم.

أَخْبَرَنِي والِدَايَ أَنَّه عندما كان يمرضُ أهلُ **ڤارسا**، لم يكونوا يهرعون فورًا إلى الحجي أَفندي (هو اللقب الذي اعتاد أهل ڤارسا على تسمية القدّيس أرسانيوس الكبادوكي به بعد ذهابه إلى الأرض المقدّسة للحجّ: الحجي أفندي كلمة مُرَكَّبة من «حجي» وتعني «الحاج» و «أفندي» وتعني «الشخص ذو السلطان») للحصول على الشفاءِ. لكنَّهم كانوا أولًا يحتملون الألَمَ بقدر ما استطاعوا، بتضحيةٍ وصبرٍ، لاعتقادهم بِأَنَّ المعاناةَ بَرَكَةٌ. فقد كانوا يفكِّرُون: «فلتتعذَّب نفسي قليلًا من أجل المسيح، الذي عَانَى الكثير لِيُخَلِّصَنِي». ثمَّ كانُوا يَذهبون إلى الحجي أَفندي ليشفيهم، فقط عندما كانوا يُشاهدون أعمالهم تتراجعُ وعائلاتهم تُعانِي. هَلْ تَرَيْنَ مقدارَ ٱلتفانِي الذي كانُوا يتمتَّعون به؟ إذا كان الناسُ العلمانيون يُفكرون بهذه الطريقةِ، ويملكون مثلَ هذا الصَّبرِ، فكيف يتوجَّب عليَّ، أنَا الرَّاهبَ، أن أُفَكِّرَ؟ لقد قال المسيح: «بِصَبْرِكُمُ ٱقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ.» (لو ٢١: ١٩). لَمْ يُسَرَّ اللهُ بإحسانِ أيُّوب، عندما كان يملكُ ثروةً طائلةً، كما سُرَّ بصبره واحتماله خلال المصاعب التي حلَّت به.

✝ يارووندا، عندما تقول أنّ المريض يحتمل مرضه، فهل تعني أنّه لا يُظهِر ألَمه للعيَان ؟

✝ فقط في آخِرِ المطافِ وعند أقصَى درجاتِ الحاجة يمكنه أن يَدَعَ الآخرين يَعرفون بِأَلَمِهِ. قد يقولُ بأنّه يتوجَّعُ، لكن ليس لدرجةٍ كبيرة. لأنّه إذا لم يُخبرهم بِأَلَمِهِ فقد يُسيئون الظنَّ ببعضِ تصرُّفاتِه. على سبيل المثال، لو أصيبَ أحدُ الرهبانِ بمرضٍ ما وعانَى من مشكلةٍ صحيَّةٍ ولم يستطعْ حضور الصلاةِ، فقد يتأذَّى البعضُ من أفكارٍ سيِّئة، بخصوص غياب الرَّاهب.

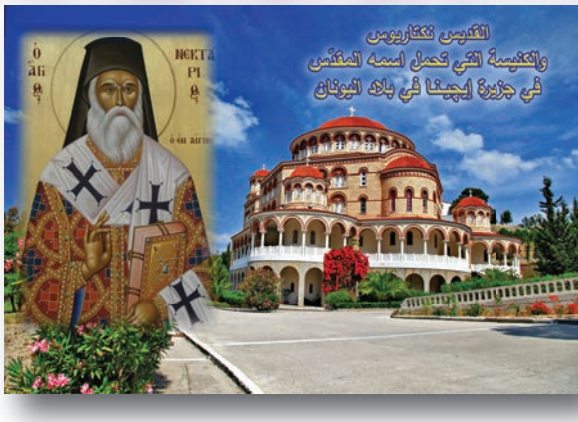

الفصل الثامن – (تتمة)

وركب من جديد السفينة متجهًا الى جزيرة خيوس الزاخرة بالتاريخ

في إحدى أُمسيات الربيع، ودَّعَ القسطنطينية ملكة المدائن المُسْتَعبَدَة للحُكم التركي واتجه جنوباً: «كُل مرّة إلى مكان أبعَد ... أبعَد». لقد ترك المدينة إلى الأبد، وآيا صوفيا، والأرض التي أَنْبَتَتْ رُهبانًا أمثال **كيرللس وميثوديوس، وتيودوروس الاسطوديتي، وبطاركة أمثال الكسندروس، وغريغوريوس الخامس، وأباطرة أمثال قسطنطين ويوستينيانوس وميخائيل الپاليالوغس.**

وتمتم نكتاريوس:

– «الوداع يا مدينة ملك الملوك، مدينة العذراء الظافرة في الحروب، أرض الشهداء ومهد الأرثوذكسيّة الدّامي. الوداع. وتقبّلي شكري المتواضع، أنا عبد الربّ الفقير وغير المستحقّ».

كان يحمل رسالة تعريف موجّهة إلى مدير ميتوخي (**منسك أو دير صغير**). وكان في طريقه لرؤية المتروبوليت غريغوريوس، وللقاء عائلته التي استقرّت في خيوس: فقد نَزَحَ أخوه خارلمبوس أولًا للعمل عند بعض الأصدقاء ممن يملكون مراكب تجارية ومراكب صيدٍ، ثم تبعته بقيّة العائلة، لأنّ المعيشة في الوطن الأم كانت عَسيرةً.

إنّ المدينة التي جرت فيها مجازر اليونانيين كانت قد احتضنته وصارت له وطنًا ثانيًا مبارَكًا من الربّ. لقد أمضَى فيها عشر سنوات متتالية عَمِلَ خلالها كَمُدَرِّس في إحدَى قُرى خيوس وتدعى ليتي. فعلَّمَ فيها أولادًا وُدَعَاء بُسطَاء، يعاني أهلهم الأتقياء مرارة البحر والبؤس.

وصار يكتشف بوضوحٍ أكثر فأكثر عظمة الإله وحقيقته، في مسار الحياة المأساوي، كما في هدوء غرفة الصَّف الحزين بعض الشيء. وكانت هذه أيضًا مرحلة ضرورية في حياته: فقد توضَّحت له حقيقتان هامَّتان يومًا بعد يوم. وانطبعتا عميقًا في نفسه: الأولَى أنّ كُل انسان يولَد خاطئًا شاء ذلك أم أَبَى، وأنَّ العالم الذي يعيش فيه مليء بالسقطات، وعليه أن يزيد في جهاده ضدّ الخطيئة. وأمَّا الحقيقة الثانية فهي أنّ المسيح، كلمة الله، والأقنوم الثاني في الثالوث القدوس، الذي صُلِبَ لِأَجلنا وقام، وقد لمس توما جراحاته، هو المخلِّص الوحيد.

وقد كانت هاتان الحقيقَتانِ بالنسبة إليه بداية الطريق إلى السَّماء ونهايتها. وأما البداية فهي أن تعرف أنَّك لستَ سِوَى ذرّة صغيرة من الغبار، وأنَّك خاطىء. والنهاية هي أن تقبَل بأنّ المسيح قد تنازل واتخذ صورةَ عبدٍ، صورتَكَ أنتَ لِيُخَلِّصَكَ، لِيُخَلِّصَك أنتَ شخصيًا. وليس هناك سوى طريق واحد، ولن يوجد غيره أبدًا. لا طريق بالقرب منه، ولا موازٍ له:

«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يو١٤: ٦). إنّ فعل الخلاص هو فعل المسيح المخلِّص من الألف إلى الياء. إنَّه هو الذي يدخل القلب، مع الروح المعزّي، ويعطي معرفة الخطيئة والتوق إلى التوبة، دون إكراه أحد أو الحَدِّ من حُرِّيته. «بمكنك يا بُنَيَّ أن تحصل على سُؤَال قلبك، وبالأولَى ما أنتَ بحاجة إليه».

عشر سنوات كاملة قضاها هناك بالتعليم في ليتي، حيث المرفأ الجميل، والشمس الساطعة والبحر الأزرق ومراكب الصَّيادين. لو تَسَنَّى له أن يكتب يومياته لوضع كُتبًا عدّة تحمل عنواين أمثال: **الشمس، البحر، وجوه الناس المنفيين، هموم كثيرة** ...

كم وكم من المرّات بقي بقرب أُمَّهَات يشاهدن أطفالهن يموتون، وبقرب أشخاص يسهرون الليل يصارعون الأمراض الصعبة. وبقرب آخرين فقدوا عملهم وأصبحوا عاطلين عن العمل. لا سلاح في أيديهم ليواجهوا المشكلة العصيبة، مشكلة الحصول على الخبز اليومي: ولكنه في حياته لم يتخلَّ عن الصلاة، ولا عن الصبر ولا عن الأمل الشجاع، فكانت الأمور تسير بشكلٍ أفضَل، وكان الناس ينجون من جو اليأس.

علينا أن نهتم بخلاص القريب كما نهتم بخلاص نفوسنا، فاذا لم نفعل هذا لا نخلُص نحن أيضًا. إنَّ الجندي الذي يهرب من ساحة القتال ليخلُص يهلَك مع غيره. خلافًا لذلك الجندي البطل الذي يدافع عن الآخرين، وعن نفسه ليخلُص معهم. إنَّ حياتنا الحاضرة لحرب شعواء، وأشدّ من سواها حين يستمر القتال والكفاح، فلنباشر الحرب كما أمر الملك مستعدّين للغلبة والقتال وسفك دماء الأعداء، مهتمين بنجاة الجميع، ومشدّدين الواقفين، وناهضين بالواقعين لأن الكثيرين من اخوتنا قد يكونون حينئذٍ مُثْخَنِينَ بالجراح، وليس بقربهم أحدٌ بعد المعركة، لا شعب ولا كاهن ولا ناصر ولا صديق ولا أخ، وعلى الإجمال لا أحدَ يُعْنَى بهم بل كلٌّ يفكر بنفسه فقط، فهنا تُباد محبة الذَّات وَتُعَدُّ وقاحةً عظيمة عند الله أَلَّا نهتم إلَّا لنفوسنا، وإنما الثناء والمديح لذلك الذي يضحي بنفسه في سبيل الآخرين. فاذا كنا ضعفاء يَسْهُل التغلّب علينا من البشر والشيطان، لأننا نسعى إلى التفريق ولا نُثَبِّت بعضنا بعضًا، ولا نتحصَّن بمحبة الله بل نفتش عن أسباب أخرى للصداقة بالقرابة أو بالتعارف أو بالجوار، مع ان هذه الأسباب لا تثبتنا في الصداقة أكثر من التقوى وحسن العبادة، وهكذا لا نزال ضعفاء معاكسين لأننا نصادق اليهود الوثنيين أكثر من مصادقتنا أبناء كنيستنا المسيحيين.

نقول: هذا شرير وذاك وديع وطيب القلب. تدعو أخاك شريرًا لأنه حُرِّمَ عليك أن تقول له يا أحمق. أَلَا تعْلُوْ خدّيك حُمْرَةُ الخجل إذا شتمت أخاك الذي هو عضو من جسدك، والذي تشترك معه في الولادة الروحية، ويتناول معك من مائدة واحدة؟ وإذا أتى أخوك بالجسد بأعمال شريرة كثيرة، تجتهد أن تستر عيوبه لأنك تحسبها مهينة لشرفك. أما أخوك الروحي الذي يجب عليك أن تنفي التهمة عنه عِوَضًا عن تثبيتها، تدعوه شريرًا ولا تطيعه، مع ان الواجب عليك أن تصادقه لتردعه عن الغيِّ والضَّلال، وتنقذه ليرجع إلى طريق الفضيلة، وقد تعترض على ذلك بقولك انه لا يَمْتَثِل وَيَنْتَصِح. من أين عرفت ذلك؟ أَنَصَحْتَهُ واجتهدت في إصلاحه؟ تجيب: نعم، نصحته مرة أو مرتين! إنَّ نُصْحَكَ هذا يجب أن يستمر دون انقطاع! ألا ترى كيف ان الله تعالى يردعنا دائمًا بواسطة الأنبياء والرسل والإنجيل؟ ماذا؟ هل نتمِّم أوامره ونخضع لها؟ كلا! هل يتركنا من دون نَصِيحَةٍ؟ أصمت! ألا يعمل بالعكس إذ يكلمنا دائمًا: لا تقدرون أن تخدموا الله والمال! لكن الأكثرين يدفعهم الطمع والشوق لجمع الثروة يومًا فيومًا، ألم يصرخ بنا الله دائمًا: اتركوا فَيُتْرَكُ لكم؟ ومع ذلك تزداد القلوب قُسْوَةً. ألا ينذرنا دائمًا لنسود الشهوات الرديئة، ونتغلب على الملذات الساقطة، مع ان الكثيرين كالخنازير يتمرغون في حمأة الخطايا. هذا كله لا يزال ينذرنا، ونحن لا نفكر ولا نقول إنَّ الله ينصحنا، بل نظل على حالنا ولا نخضع لإِنْذَارِهِ.

لذلك قال: ما أقلّ الذين يَخْلُصُون. فإن كانت لا تكفي فضيلتنا لأجل الخلاص، فيجب أن نلتفت إلى فضيلة الآخرين! فما الشيء الذي ينتظرنا في الآخرة إن لم نلتفت إلى نفوسنا ولا لغيرنا؟ لكن ما لي ألومكم في الإهمال من أجل خلاص القريب، ونحن مُهْمِلُون من يعيشون معنا تحت سقف واحد، أعني بهم الزوجة والأولاد والخدَم.

اننا نهتم لكي يكون لنا خدَم كثيرون يخدموننا بإخلاص، ولكي نترك ميراثًا كبيرًا لأولادنا بعد مماتنا، ولكي تتحلى الزوجة بأجمل الحلى الذهبية الثمينة وتلبس أفخر الملابس، ولكننا لا نفكر قطعًا بنفوسهم بل بالمقتنيات. لا نفكر بالزوجة بل بما يزيّنها ولا بالأولاد بل بما يرثون. فما أشبهنا بصاحب بيت تكاد جدرانه تسقط. فبدلًا من أن يهتم بترميمها أحاطها بسياج فقط. أو برجل يحضر لجسده الملابس الفاخرة ولا يعالج أسقامه ومرضه، ويترك سيّدة البيت تتألم وتذرف الدموع وتهتم بجواريها وأشغالهن وبأواني البيت وأثاثه. فنحن نعمل هكذا عينًا، فبينما تتألم أنفسنا من وطأة المرض وشدته، نستسلم للغضب والنميمة والأعمال المخالفة للعقل السليم، وللعجرفة والاضطراب، مع أن هذه النفوس ملتصقة بالتراب، وقد مزقتها وحوش كثيرة، ومع ذلك فلا نهتم بخلاصها من الشهوات، بل نهتم بالبيت والخدم.

إن جمحت دابة أمامنا نغلق الأبواب ونختبئ من وجهها. أما الآن فنغضّ النظر عن الوحوش الكثيرة، أي **الأفكار الرديئة التي تمزق نفوسنا**. إننا نراقب الوحوش مراقبة شديدة **فَنَحْبِسُهَا** في الأماكن الخالية من الناس، مُقَيِّدِينَ إيَّاها بالسَّلاسل والأصفاد. أما النفس التي هي مجلس الشورى، وقصر الملك ودار الحكومة، فتدخل إليها الوحوش رافعة أصواتها وضجيجها .

من هذا ينتج عدم الانتظام والاضطراب أينما كان في أعماق

النفس وخارجها، فتشبه حينئذٍ مدينة هجمت عليها البرابرة ودخلتها. وهكذا يحل بنا ما يحل بالطيور الصغيرة إذ تدخل الأفعى أعشاشها، لتستولي عليها فترفع أصواتها الحزينة وتطير خائفة مذعورة لا تعلم كيف تنجو من الخطر.

أيها الإخوة! لو امتنعنا عن الطعام وافترشنا التراب بدل الأَسِرَّة، وأكلنا الرماد ولم نَكُفَّ عن البكاء، لما فعلنا شيئًا يستحق الذكر إذا لم نهتم لخير القريب. إنَّ الرجال العظام يهتمون قبل كل شيء للصالح العام تاركين مصالحهم الخاصة، ولذلك تَمَجَّدُوا. إن موسى النبي اجترح الكثير من العجائب والآيات، ولكنه لم يشتهر بهذا وَيَعْظُمُ، كما اشتهر بصراخه إلى الله: «وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ (بَنِي إِسْرَائِيلَ)، وَإِلَّا فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خروج ٣٢: ٣٢) وبمثل هذا نطق الملك والنبي داود: «أَنَا الَّذِي خَطِئْتُ وَأَنَا الَّذِي فَعَلْتُ السُّوءَ، وَأَمَّا أُولَئِكَ الْخِرَافُ، فَإِذَا فَعَلُوا ؟ فلتَكُنْ عَلَيَّ يَدُكَ وعلى بَيْتِ أَبِي» (الملوك الثاني ١٧:٢٤) وهكذا تمامًا نرى البطريرك إبراهيم يتنازل عن مصالحه الخاصة من أجل مصالح الآخرين، مُعَرِّضًا نفسه إلى مصائب مختلفة، وكان يصلي إلى الله من أجل الغرباء عنه. وعكسه، نرى الذين لا يهتمون إلَّا بنفوسهم، يتحمّلون الأضرار العظيمة. هكذا لوط إذ سمع من إبراهيم: «أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالًا فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالًا» (تكوين ١٣: ٩) فلما أخذ الأرض التي اختارها، بدأ يبحث فيها عن مصالحه، فلم يجدها، ولم يكد ينقذ ذاته من الحريق على الأرض التي عاش فيها. مع ان أرض إبراهيم لم يصبها أدنى ضرر. وهكذا النبي يونان حينما أهمل مصلحة القريب من أجل منفعته الخاصة، ولم يهتم لمصلحة القريب، فتعرّض لخطر الهلاك إذ أصابته عاصفة شديدة طرحته في الماء، ولكنه عندما سعى إلى منفعة الآخرين وجد ما ينفعه أيضًا. والبطريرك يعقوب (ابو الآباء)، إذ لم يفتش عن منفعته الخصوصية في القطعان، حصل على ثروة عظيمة. وكذلك ولده يوسف باهتمامه بمنفعة الأخوة، وجد أيضًا منفعته الخاصة. والصديقون كلهم الذين استحقوا الذكر والمجد لإهمالهم المصالح الخصوصية، واشتراكهم في مصائب الآخرين. أما القديس بولس الرسول فقد تألم مع الآخرين وعرَّض نفسه في سبيل غبطتهم وودَّ أن يُقْطَع من ميراث الحياة الأبدية من أجل الذين لم يسلموا لعنايته. فتأمل أيها العزيز عظمة نفس رسول الأمم وسموّ أفكاره وَاقْتَدِ بغيرته. فإن كنت لا تقدر أن تكون مثله فكُن على الأقلّ كَصِدِّيقِي العهد القديم الذين ذكرناهم. لأنك لا تحصل على منفعتك الخاصة حتى تبحث عن مصلحة أخيك؛ وإن لم تهتم للقريب لا تخلُص. **تصوّر بيتًا يحترق لأحد الناس**، فعوضًا عن أن يسرع الجيران للمساعدة لم يبرحوا منازلهم، خوفًا من السرقة؛ فتأمل كيف يكون قصاصهم نظرًا لانتشار اللهيب. يفقدون هم أيضًا كل ما يملكون، لأنهم لم يهتموا لإسعاف القريب.

إن خالق المسكونة، رغبة في اتحاد البشر، جعل الأعمال مرتبطة ببعضها؛ وَبِحُكْمِ الضَّرورة، منفعة الواحد تتعلق بمنفعة الآخر، وعلى هذا يقوم نظام العالم. فلو أهمل الربّان الخطر المحدق بركاب السفينة أثناء الإعصار، وشرع يبحث عن نجاته وحده، لأهلك نفسه والآخرين. إنَّ الجندي يُعَرِّض نفسه للخطر ليس لإنقاذ نفسه بل لإنقاذ الجماعات كلها، والعامل يجتهد في صنع البضائع لا لنفسه بل لأجل الآخرين. ورُبَّ معترض يقول: إن كل واحد يفعل هكذا لأجل غايته التي تعود عليه بالنفع الذاتي لا لمنفعة الآخرين، وقد ينفعهم أيضًا عن طريق اهتمامه بنفسه. وهذا يؤكد ما نقوله لأن القريب يحصل على منفعته أيضًا، حينما يضع نُصب عينيه منفعة غيره.

وفي الواقع ان البشر لا يبحثون عن مصالح غيرهم، إن لم تحوجهم الضرورة. ولذلك، فقد جعل الله الكون هكذا، فلا أحد يقدر أن يصل إلى هدفه المقصود إلا بما يقدّمه من نفع للآخرين. ولا شك في أن هذا بدافع المحبة للبشر. فالذي يحثّنا على الإحسان هو الرغبة في تمجيد الآب السماوي، ومن يتخلى عن هذه الرغبة لا تكون له دالّة على الله. وهذا نتأكده من كلام الرسول: «ولَوْ بَذَلْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي لإِطْعَامِ المَسَاكِينِ، وأَسْلَمْتُ جَسَدِي لأُحْرَق، ولَمْ تَكُنْ فِيَّ المَحَبَّة، فلا أَنْتَفِعُ شَيْئًا.» (كورنثوس الأولى ١٣: ٣) فاذا أراد أحدكم الحصول على منفعته الذاتية فلا يبحث عنها وحدها. ■

قسط – قسيطة קְשִׂיטָה

(١) قَسَطَ – يَقْسِطُ – قَسْطًا : عَدَلَ ، فالقسط هو العدل ، **ويقول الحكيم**: « أَمِلْ أُذُنَكَ وَاسْمَعْ كَلاَمَ الْحُكَمَاءِ، وَوَجِّهْ قَلْبَكَ إِلَى مَعْرِفَتِي، لأُعَلِّمَكَ قِسْطَ كَلاَمِ الْحَقِّ، لِتَرُدَّ جَوَابَ الْحَقِّ لِلَّذِينَ أَرْسَلُوكَ.» (أم٢٢:١٧و٢١) ، أي "لأعلمك قول الحق اليقين" (كما جاءت في كتاب الحياة – ترجمة تفسيرية) أو" حقيقية أقوال الحق"(كما جاءت في الترجمة الكاثوليكية) وجاءت في الترجمة الانجليزية المعتمدة لأعلّمك يقينية أقوال الحق"

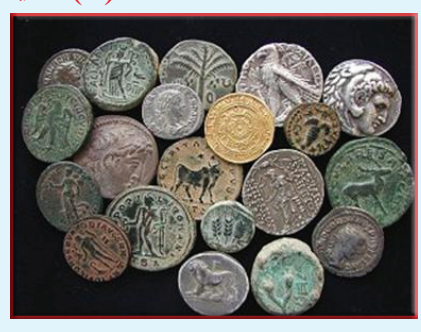

(٢) قسيطة קְשִׂיטָה :

وهي بذات اللفظ في العبرية (تك ٣٣:١٩،يش ٢٤: ٢٢، أي ٤٢: ١١). وهي قطعة من النقود لا يُعلم الآن مقدارها، ويرى بعض العلماء أنها مشتقة من« قَسَّط » العربية ، بمعنى قسم إلى أقسام متساوية أي أنها كانت قطعة محددة من الفضة لا يعلم وزنها الآن ، ويقول البعض إنه كان مرسومٌ عليها صورة نعجة لأنها كانت تعادل ثمن "نعجة" ولذلك تُرجمت "بنعجة" في المواضع الثلاثة في الترجمة الكاثوليكية.

جودة الله تحثّنا على ممارسة المحبة

وعلى هذا، فلنطرحْ عنا بذخَ الدنيا، ونضمنْ ما يقدِّمه لنا الغنى من تحقيق خلاصنا بالصدقات. لنُعطِ الفقراء جزءًا من أموالنا، فنغتني بملكوت السماوات! ابذُلْ شيئًا من مالك، لخير نفسك، لا لمتعة جسدك فقط. أعطِ جزءًا لله، لا للناس وحدَهم! إحْرِمْ بطنَك شيئًا وخُصَّ به روحك. أَنقِذْ من النار حاجةً، وأَمِّنْ عليها من نار الجحيم المُحْرِقَةِ، أَعطِ هذه الحياة جزءًا ولا تنسَ الحياة التي تستقبلك. أَعطِ قليلًا من أعطاكَ كثيرًا، أعطِ الكلَّ مَن أعطاك الكلّ، فلنْ تفوقَ الله سخاءً ولو تخلَّيتَ له عن كلِّ مالك، وعن ذاتك.

كُلَّمَا أعطيتَه زادك، ولن تعطيَه شيئًا ليس له. وكما أنَّه يستحيلُ أن يسبقَ أحدٌ ظِلَّهُ أو ترتفعَ قامته فوق رأسه، هكذا يستحيل أن نغلب الله في العطاء، لأننا لا نعطيه شيئًا ليس له، فلا يمكننا أن نفوقه أو أن نساويَه كَرَمًا.

فَكِّرْ: من أين لك أنَّك كائن، وأنَّك تتنفَّس، وأنَّك تُفكِّر؟ ومن أين لك، فوق كل ذلك، أن تعرف الله، وأن تترجَّى ملكوتَ السماوات، وأن تساوي الملائكة شرفًا، وتتأمَّل مجد الله الآن في مرآة وألغاز، ومِنْ بعدُ، وجهًا لوجه، وأن ترث مع المسيح، وتصبح أنت نفسك إلهًا (بالنعمة). وإذا تكلَّمنا بصراحةٍ وجسارة، فمن أين؟ وممن يأتيك هذا جميعُه؟ وإن تكلَّمنا عن النِعَم قليلِها وكثيرِها، فمن يَسَّرَ لك أن ترى جمال السماء، ومسيرَ الشمس، ومَسرَى القمر، وعددَ النجوم، وما بينها من الانسجام والنظام، انسجام القيثارة، (القيثارة أو كوكبة القيثارة (بالإنجليزية: Lyra) كوكبة صغيرة تقع في نصف الكرة السماوية الشمالي، إذ تبلغ مساحتها ٢٨٦ درجة مربعة، وهي بذلك تحتل المرتبة ٥٢ من حيث المساحة. ونيّرها النسر الواقع هو خامس أسطع النجوم في السماء.)

وتعاقُبَ الفصول والدهور، ودورانَ السنين، واختلافَ الليل والنهار، وإثمار الأرض، ومَيعَةَ الهواء، وَسِعَةَ البحر هائجًا وهادئًا، وعُمقَ الأنهار، وتحرُّك الرياح؟ مَنْ أعطاك المطر؟ وزَرْعَ الأرض والغذاء، والفنون، والشرائع، والقوانين، والتمدُّن، وإمكان الكثيرين من أعضاء أسرةٍ واحدة أن يعيشوا معًا ؟ كيف يمكن أن يكون بعض الحيوانات الداجنة لخدمتك وبعضُها لغذائك؟ من أَقامك سيِّدًا ومَلِكًا على كلِّ ما على الأرض؟ أليسَ هو الذي يطلبُ منك الآن، قبل كل شيء، أن تكونَ كريمًا رحيمًا؟ أفلا نخجل بعد كلِّ ما قبلنا، ومع كلِّ ما نرجو أن نقبَلَ من الله، ألَّا نبادلَه هذه الرحمة؟ لقد مَيَّزَنا من الحيوانات العُجْم، وأعطانا وحدَنا العقل على الأرض، أفنُمسي مثل الحيوانات العجْماء؟ أَأَفسدنَا البذخُ إلى هذا الحدّ؟ وَجَنَّنَنا، فصيَّرنا ما أدري ماذا، حتى لنتصوَّر أننا من طبيعةٍ أسمى من طبيعتهم؟

فلنتشبَّه بمسلَك الله، الشريف، السامي: فإنه يُمطر على الأبرار والفُجَّار، ويُشرقُ الشمس على الجميع.

التضامن الإنساني يدعُو إلى المحبة

أمّا أنتَ، آسِ المرض، خَفِّفِ الفقر، وأنتما أيُّها القوي والغني ساعدا المريض والفقير، وأنتَ أيُّها الواقف أَسْعِفِ الواقِعَ والمكسورَ، وأنتَ أيُّها المتفائِل اسنُدِ المتشائم، وأنت أيُّها الناجحُ شجِّعِ الفاشل. أَظهِرْ لله شُكرَك على أَنَّك بين القادرين على صُنع الخير. كنْ إلها للفقير في تشبُّهك برحمة الله، فما من شيءٍ يقتبسه الإنسان من الله مثلُ الرحمة.

كلُّ نوتيّ عرضةٌ للغرق، وخصوصًا إذا كان جسورًا، وكلُّ إنسان ذي جسد هو أيضًا عرضةٌ للأمراض الطبيعية، وخصوصًا إذا سار متطاولًا، لا ينظر إلى المطروحين أمامه على الأرض. فمُدَّ يدك إلى مَن يغرَقُ، ما دامتِ الريحُ مؤاتيةً لك، وأحسِنْ إلى البائس ما دُمتَ موسِرًا ناجحًا. لا تنتظر أن تختبرَ بنفسك ما في القسوة على المساكين من الشرّ، وما في العطف عليهم من الخير. لا تحمِل الله أن يمُدَّ يدَه عليك كما يمدُّها على من يترفَّعون على الفقراء أو يتغافلون عنهم. تعلَّم من شقاءِ غيرك، تعلَّم أن تعطي المحتاج قليلًا. فلا قليلَ عند من لا يملك شيئًا، ولا عند الله، إذا كان العطاء على قدر المستطاع. وإن لم يكن لديك ما تُعطي، أعطِ من نشاطك، أعطِ من دموعك: فذلك أعظمُ تفريجٍ لغمِّ المعذَّب أن يجدَ قلبًا يعطِفُ عليه، ويخفِّف شيئًا من شقائه.

فيا إنسان، ألا تكترثُ لإنسان مثلَك أكثر من اكتراثِك لدابَّة من الدواب؟ فلو أنَّ هذه الدابّة وقعتْ في حُفرة أو شردَت، لكلَّفتْك الشريعة أن تُخرجها أو أن تردَّها. أليسَ من الواجب علينا من الرِفقِ بأشباهِنا وأمثالِنا مثل ما تطلبُه الشريعة من الرفقِ بالبهائم؟

المحبة وصية لا مشورة

أتأمَّلُ بخشوع، في كيس الدراهم الذي كان المسيح يتصدَّقُ منه، وأُقدِّرُ ما تمَّ بين بطرس وبولس من الاتفاق على تقسيمِ عمل بشارة الإنجيل، وتعميم العناية بالمساكين. وأحترمُ تحديدَ الكمال الذي عَرضَه الربُّ على الشاب الغَنِيّ بأن يوزِّع مالَه على الفقراء. أتظنُّ أنَّك مخيَّرٌ بين أن تمارس المحبّة أو لا تمارسُها؟ أتظنُّ أنّها مشورةٌ لا وصية؟ كنت أتمنى أن تكونَ كذلك، ولكنَّ أمرًا يمنعُني: هو الخوف من أن أقف في الدينونة الأخيرة بين أهل الشِّمال، من جانبِ الجِداءِ، وأن يطردَني منْ أوقفني في ذلك الجانب. فإنَّ هؤلاءِ لم يُحكَمْ عليهم بهذا الموقف لأنَّهم سرقوا، أو نهبوا، أو زَنَوا، أو أتوا أيَّ فعل آخر من المنكرات، ولكنْ لأنَّهم لم يَخدُموا المسيح بأشخاصِ المساكين.

فاذا صدَّقتموني يا عباد الله، يا اخوةَ المسيح، وشركاءَه في الميراث الأبدي، فهلمُّوا بنا نزور المسيح، ونعتني بالمسيح، ونُطعِمُ المسيح، ونكسو المسيح، ونُؤْوِي المسيح، ونكرِّمُ المسيح، لا بأنْ نُجلسهُ إلى مائدتنا فحسب، ولا بأن نصبَّ عليه طِيْبًا، كمريمَ المجدلية، ولا أن نُقدِّمَ له قبرًا كيوسفَ الرامي، أو نُحضِرَ له ما يلزم لدفنه مثلَ نيقوديموس الذي لم يُحِبَّ المسيح إلَّا نصفَ محبة، ولا أن نقدِّمَ له الذهب والبخور والمُرَّ كما فعل المجوس قبل جميع من ذُكرت. ولكن بما أنَّ سيِّدَ هذا العالم «يريدُ رحمةً لا ذبيحة»، وبما أنَّ الطيبةَ أفضلُ من ذبيحةِ ألفِ خروف، فلنقدِّمْها لهذا السيّد بواسطة الفقراء والمساكين المطروحين على الأرض، حتى إذا ما انتقلنا من هذه الأرض «يقبلونَنا في المظالِّ الأبدية»، بالمسيح نفسه ربِّنا الذي له المجد إلى دهر الدهور، آمين.

إصنع الخير

للقديس باسيليوس الكبير

تمثَّل بالأرض، أنت أيها الإنسان. أَثمِرْ مثلَها لئلَّا تكونَ دونَ المادَّة، فإنَّ الأرض لا تُثمِرُ لِلذَّتِها الخاصَّة بل لخدمتك. أمَّا أنت فبخلافِها تَؤولُ إليك منفعةُ إحسانِك، لأنَّ الأعمالَ الطيِّبة تُغني عاملَها. إذا أعطيتَ الجائع، عادَ إليك ما أعطيتَه أجرًا فأغناك. كالقمح يُبذَرُ في الأرض فيعودُ نفعُه على باذِره، والخبزُ الذي تُطعمُه للفقير يُغِلُّ لكَ غَلَّةً عظيمةً. فاجعلْ من غلَّتِكَ بدايةً للزرع الإلهي. اعتبرْ أنَّه أمجدُ للإنسان أن يُدعى أبا الفقراء من أن تكونَ له أكداسٌ من الذهب مكدَّسةً في الصناديق. وأنت رَضِيتَ أم أَبَيْتَ، ستتركُ كلَّ ثروتك على الأرض؛ أمَّا مجدُ أعمالِك الحسنة فيُرافقك إلى أمام الله.

نخبة من الحِكَم والأمثال

أَلدَّرسُ رَأْسُ ٱلْعِلْمِ فَٱحْرِصْ عَلَيْهِ
فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهْ
مَنْ ضَيَّعَ ٱلدَّرْسَ يُرَى هَاذِيًا
عِنْدَ ٱعْتِبَارِ ٱلنَّاسِ مَا فِي يَدَيْهْ
فَعِزَّةُ ٱلْعِلْمِ مِنْ حِفْظِهِ
كَعِزَّةِ ٱلْمُنْفِقِ فِي مَا عَلَيْهْ

ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٌ لَا مَحَالَهْ
هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى ٱلْبِطَالَهْ
وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَأْبًا
وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَهْ

أَخُوكَ ٱلَّذِي يَحْمِيكَ فِي ٱلْغَيْبِ جَاهِدًا
وَيَسْتُرُ مَا يَأْتِي مِنَ ٱلسُّوءِ وَٱلْقُبْحِ
وَيَنْشُرُ مَا يُرْضِيكَ فِي ٱلنَّاسِ مُعْلِنًا
وَيُغْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ ٱلْبِرِّ وَٱلنُّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْتَا
وَيُغْلِظُ فِي ٱلْكَلَامِ مَتَى أَسَأْتَا
يُسَرُّ إِنِ ٱتَّصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ
وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوِ ٱنْتُقِصْتَا
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثْ بِكَ لَا يُبَالِي
أَحِدتَّ عَنِ ٱلصَّوَابِ أَمِ ٱعْتَدَلْتَا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ
وَأَبَانَتْ عَنْهُ ٱلْوَلِيَّ ٱلْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ ٱلذَّنْبَ نَفْرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي
لَكَ إِنْكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ ٱلتَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا
لِأَخٍ يُجَازِي بِٱلْجَمِيلِ مِنَ ٱلثَّنَا
إِنَّ ٱلتَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مَنْ أَسَا
لَكَ بِٱلْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غِنَى

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(٥٣)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وأيضًا يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات

وصَلَ سائقٌ إلى جِسْرٍ طويلٍ ضَيِّقٍ، ورأى أمامه إشارة مكتوبٌ عليها:"**ممنوع المرور على هذا الجسر**"، واذا بسائقٍ آخرَ يسير ببطء أمامه ملاحظًا تَأَنِّيهِ، فأدار السائق الأوّل عربته إلى الممر الآخرَ وهو يُحَمْلِق بغضب إلى السائق الثاني بعد أن تخطَّاه، وعند نهاية الجسر إذ بضابط المرور يُشير إليه للتوّ ويأمره بالوقوفِ ويقول له: "**أَما رأيتَ الإشارة المكتوب عليها: ممنوع المرور؟** "

أجابه السَّائق: ''بَلَى''

''حسنًا، فَلِمَ إذن تجاوزتَ السيَّارة الأُخرَى؟'' فأجابه السَّائق بخضوعٍ وخجل:

''سَيِّدي الضَّابط، لأكون صريحًا، لَمْ أتوقَّع وجودك عند نهاية الجِسر''.

إنَّ الربّ يسوع لم يُخبرنا كثيرًا عمّا سوف يحدث لنا في المستقبل، ولكنه أخبرنا عن حَدَثٍ هامٍّ جدًّا سوف يحدُث في المستقبل. **إنَّه أبْلَغَنَا أن نتوقَّع تواجده الفجائي عند نهاية جسر الحياة**. يقول قانون الإيمان النيقاوي: ''وأيضًا يأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات''. المستقبل هو شيء كلّ واحد مِنَّا يَتَّجِه نحوه ويطلبه بمعدَّل ستين دقيقة في السَّاعة. مهما فعل الإنسان، ومهما كان الإنسان، فإنَّ أهم حَدَث في المستقبل هو **مجيء الربّ يسوع وظهور كُلّ واحدٍ مِنَّا أمامه للدينونة**.

توجَد في إحدَى القاعات الكبيرة صورة مُعَلَّقة تُبَيِّن مباراة في الشطرنج بين شخص يُدعَى **فوست Faust والشيطان**، وعنوان الصورة: «**موت الملك** Checkmat» (الشطرنج لعبة فارسيّة: فكلمة شيخمات Checkmat هي:«الشَّاه مات»، تُقال عندما يُؤسر فيها الملك)، وفيها يُنهي الشيطان المباراة لصالحه، وهو يَزنق فوست في موضعٍ حَرِج، كما تُبَيِّن الصُّورة الشيطان وهو ينظر بازدراء إلى فوست. تُكَمِّل القصَّة أنَّ شيخًا كان يقف في إحدَى الممرّات وهو يحملق في الصُّورة لمدَّةٍ طويلة، ثُمَّ يصرخ فجأة: ''هذا ليس صوابًا، يُمكن أن ينتقل فوست إلى حركة أخرى! الملِك لَمْ يَمُت، يمكنه أن يتحرَّك''.

لا يهمّنا كثيرًا أن يظهَر الشيطان كما لو كان قد وضَعَ ملكنا في موضعٍ حَرِجٍ في مباراة هذا العالم، إنَّه لا زالت أمام الملك حَرَكة كبيرة وأخيرة، **سوف يأتي ثانية في مجده ليدين الأحياء والأموات**.

الكُتب المقدّسة تشهد على مجيئه:

يتكلّم الكتاب المقدّس بِكُلِّ وضوح عن المجيء الثاني للربّ يسوع فيقول:

«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ» (مت ٢٥: ٣١-٣٢).

«.. آتي أيضًا (مرَّةً ثانية) ..» (يو١٤: ٣).

« إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ١١).

« لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.» (كو٥: ١٠).

« مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ.» (كو٣: ٤).

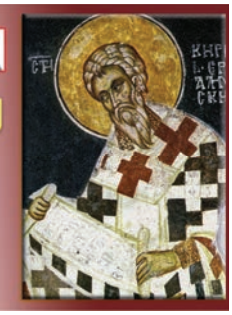

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثالثة عشر في العماد

«... وَصُلِبَ وَقُبِرَ»

«ربّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمن ظهرت يدُ الربّ؟ ... كنعجة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزّه هكذا فتح فاه. في ذلّه أنكر عليه حقّه. تُرى من يصف ذريته؟ لأنّ حياته أُرِيلَت عن الأرض ...» (أشعيا ٥٣: ١-٨).

٢١- الدم والماء والجنب المفتوح من العلامات الرمزية في الكتاب.

كان الدم والماء بداية العلامات الخارقة في عهد موسى. وآخر معجزات يسوع كان أيضًا الدم والماء. ففي البداية حَوَّلَ موسى النهر إلى دم (خر ٧: ٢٠)، وفي النهاية أخرج يسوع ماء ودمًا من جنبه (يو١٩: ٣٤). وعليه فهناك صورتان مختلفتان: صوت الحاكم وصوت الجماهير الصَّاخبة. أو صوت المؤمنين وصوت غير المؤمنين. قال بيلاطس: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ»، ثمّ أخذ ماء وغسل يديه. لكن الجماهير صرخت: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (متّى ٢٧: ٢٤-٢٥). تَدَفَّقَ الاثنان من جنبه: **الماء للحاكم، والدم للجماهير الصَّاخبة**. والتفسير ممكن بشكل آخر: **الدم** لليهود **والماء** للمسيحيين. لهؤلاء الإدانة بالدم لخيانتهم، ولَكَ أنتَ الذي يؤمن الآن الخلاص بالماء؛ لأنه لم يحدث شيءٌ عبثًا. وقد ترك لنا آباؤنا الذين فَسَّروا هذا المقطع شرحًا آخر: إنَّهم يَرَوْن أنّ قوّة المعمودية المخلّصة مزدوجة بحسب الإنجيل: تُمنح إحداهما بالماء للذين يتلقون الاستنارة، والثانية بالدم للقديسين الذين يستشهدون في زمن الاضطهاد. لذلك خرج من جنب يسوع دمٌ وماء. إنَّ هذا الاعتراف بالمسيح بالمعمودية أو في زمن الاضطهاد يثبت النعمة. وهناك تفسير آخر لجرح الجنب، وهو أنَّ المرأة التي كانت مبدأ الخطيئة خرجت من جنب الرَّجُل، وأنَّ المسيح الذي جاء ليمنح الغفران للرجال والنساء على حَدٍّ سواء، قد فَتَحَ جنبه للنساء لكي **يسحق الخطيئة**.

٢٢- تشجيع المستمعين

ولو نحن بحثنا لوجدنا أسبابًا أُخرى. ولكن ما قلناه فيه الكفاية، بسبب ضيق الوقت، ولكي لا يملّ المستمعون، وإن لم يَكُن مُمِلًّا قَطُّ أن نسمع كُلّ ما يخصّ السيِّد المُتَوَّجَ، ولا سيّما على هذه الجلجلة المقدّسة. إنّ غيرنا يسمعون فقط؛ أمَّا نحنُ فنرى ونلمس. فلا يَضْجَرَنَّ أحد. إحمل صليبك ضِدَّ أعداء الصَّليب، وارفع إيمان الصليب كدليل انتصار على المناقضين. وعندما تُناقش غير المؤمنين في صليب المسيح، أُرسم بيدك إشارَة صليب المسيح فيصمت المناقض. ولا تخجل من الاعتراف بالصَّليب، لأنَّ الملائكة يفتخرون به بقولهم: «لاَ تَنْدَهِشْنَ! أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ هُهُنَا. هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ.» (مر ١٦: ٦). ألا تستطيع أن تقول، أيها الملاك: «أنا أعلَمُ مَن تَطلُبنَ: سَيِّدي» ! ولكنه قال بكل يقين: «أنا أعلم ... المصلوب»، لأنّ الصَّليب **تاجٌ** لا **عارٌ** .

٢٣- ما معنى الجلجلة

أما نحنُ فلنعد الى الشرح الذي بدأناه مستندين إلى أقوال الأنبياء. صُلِبَ الرَّبّ، وقد حصلتَ على الدلائل. أنتَ ترى مكان الجلجلة (هُتافات مختلفة من الجمهور) وتهتف بالتسابيح مُعْرِبًا عن موافقتك؛ فَاحْذَرْ أن تجحد إيمانك في يوم الاضطهاد. لا تفرح بالصَّليب في زمن السِّلْمِ فقط، بل فليكن لكَ نفس الإيمان في زمن الاضطهاد. ولا تكن صديق يسوع في زمن السِّلْمِ، وعَدُّوه في زمن الحرب. أنتَ تتلقَّى الآن مغفرة الخطايا وإنعامات مواهب الملك الروحيّة. صُلِبَ لأجلِكَ يسوع البريء، فَهَلَّا تصلب نفسك لأجل الذي صُلِبَ مكانك؟ أنتَ لا تقدِّم هِبَةً – إذ سبقَ أن تلقيت أنت الهبة – بل تردّ الهبة بدفع دَيْنِكَ للذي صُلِبَ لأجلِكَ على الجلجلة، والجلجلة موضع الجمجمة (يو١٩: ١٧). مَن هُم الذين أطلقوا بروح نبويّة هذا الاسم على مكان الجلجلة حيثُ **المسيح** «الرأس الحقيقي» (أفسس ٤: ١٥). إحْتَمَل الصَّلبَ؟ كما يقول الرسول: «هو صورة الله غير المنظور» ؛ وبعد بقليل: «هو رأس الجسد، أي الكنيسة» (كولُسي ١: ١٥-١٨ ؛ أفسس ١: ٢٢-٢٣)؛ وأيضًا: «ورأس كُلّ رجل هو المسيح» (١كور ١١: ٣)؛ «وهو رأس كُلّ رئاسة وسلطان» (كولُسي ٢: ١٠). لقد تألّم الرأس فوق موضع الجمجمة. يا لَلتسمية النبويّة العظيمة! فهذا الاسم هو بالنسبة لكَ تذكير، كي لا تعتبر المصلوب مجرّد إنسان «إنه رأس كُل رئاسة وسلطان». إنّ رأس كُلّ سلطان هو الذي صُلِبَ، ذاكَ الذي رأسه هو الآب، «لأنّ رأس كُلّ رجل هو المسيح ... ورأس المسيح هو الله» (١كور ١١: ٣).

العهد القديم في الكتاب المقدس (٩٤)

(أ) اليهود تحت الحُكم اليوناني (٣٣٢-١٤٢ ق.م.)

بالرغم من الطُرق الجيِّدة التي أنشأتها فارس لتمسك بأطراف ممتلكاتها، إلَّا أنَّ الإمبراطورية الفارسية بدأت في التَصدُّع، وتَداعَتْ أركانها وبدأ الصِّراع بين فارس واليونان واستمرّ قرنين من الزمان. وكانت بلاد الشرق الأدنى مسرحًا لحروب دامية مستمرّة، وتكلّلت فتوحات **فيليب الثاني الملك المقدوني** بالنجاح، وهو من شخصيات الإغريق العظيمة، ففي عهده تطوَّرت القوَّات المحارِبَة من فِرَق إلى جيش مُنَظَّم يجمع بين سلاح الفرسان والمُشاة، وكان يمتاز بكثرة العدد ومرونة الحَرَكَة، وسارت الأمور في نجاح حتَّى موته الغامض وارتقَى عرش مقدونيا ابنه الإسكندر.

أولًا: اليهوديّة في العصر المقدوني (الإسكندر الأكبر) (٣٣٢-٣٢٣ ق.م.):

في **سنة ٣٣٦ ق.م.** تقلَّد **الإسكندر الأكبر** حُكم مقدونيا وهو في الثانية والعشرين من عمره، وقد اعتزم في سنة ٣٣٤ ق.م. القضاء على الدولة الفارسيّة، وسُرعان ما ظهرت مهارته الحربيّة ونجاحه في كافة الحروب التي خاضها والتي بدأت بإخضَاع الولايات الإغريقيّة، ثمّ قَصَدَ آسيا الصغرى ليُلاقي قوّة فارس وَتَحَقَّقَ له النَّصر في النهاية على **داريوس الثالث الملك الفارسي** سنة ٣٣١ ق.م. (١مك١: ١) . فَقَضَى على سيادة الفُرس في آسيا، وسيطر على الطريق التجاري الرئيس ، واستمرَّ في زحفه ووصَلَ إلى سوريا واستولَى على دمشق وفتحَ صور ذات الحِصن الحربي المنيع بعد أن حاصرها سبعة أشهر، وبسقوط صور قاعدة الأسطول الفارسي انتهت سيادة الفُرس في البحر الأبيض المتوسط، وزحف بجيوشه جنوبًا واستولى على عكا وأشدود وأشقلون وسقطت غزّة بوابة مصرَ التاريخية ذات الحِصن القوي، ثمّ أدارَ وجهه شَطرَ أورشليم سنة ٣٣٢ ق.م. ليستولي عليها، ويقصّ يوسيفوس رواية دخوله المدينة بأنَّه حينما عَلِمَ رئيس الكهنة بأنَّ الفاتح العظيم يقترب من المدينة أمرَ بأن تُزَيَّن المدينة بأكاليل الزهور وفتح أبواب أورشليم وخرجَ لاستقباله وهو يرتدي ملابسه الزاهية، ولما رأى الإسكندر أنّ رئيس الكهنة قدَّم فروض الولاء والخضوع وأنَّ اليهود يهتفون بالدعاء له عفا عن المدينة واصطحبه رئيس الكهنة، ودخل إلى الهيكل وأطلعه على تلك النبوءات التي تحدّثت عنه (دانيال ٨: ٣). وبذلك نجَت المدينة من النهب والدمار، وتقدَّم الإسكندر ودخل مصرَ بدون مقاومة، وقد رَحَّبَ به المصريون خاصة بعد أن أظهَرَ مَسْلَكًا كريمًا نحوهم، واحترام عقائدهم، فتوَّجه الكهنة فرعونًا على مصرَ. وفي ذكاءٍ شديد وجد الإسكندر في موقع الإسكندرية ذات الخُلجان الطبيعية وجزيرة راقودة المجاورة لها، كافة المميزات التي تكفل الازدهار لمدينةٍ عظيمةٍ تنشأ في هذا المكان، وبذلك تتحقّق أهدافه العسكرية والحضاريّة والتجاريّة، فعَهَدَ إلى **مهندسه العظيم دينوكراتس** بمهمة تخطيط المدينة وهي المدينة التي خَلَّدت اسمه.

وأثناء غيبة **الإسكندر** وهو في مصرَ جاءته أخبار أنّ السامريين ثاروا على الحاكم الذي عيّنه نائبًا عنه هناك، ففي الحال أصدرَ أوامره إلى جنوده بتخريب مدينتهم، ثمّ استأنف **الإسكندر** زحفه نحو الشرق متجهًا إلى وادي دجلة واقتحم عواصم **داريوس** في **صوصه وبرسبوليس وبابل**، وبعد أن استولى على كنز فارس الضخم أمرَ بحرق قصر داريوس العظيم، ولم يكتَفِ الإسكندر بتلك الفتوحات، إذ أخذت إمبراطوريته في الاتساع وامتدت إلى شمالي الهند. وفي سنة ٣٢٣ ق.م. بينما كان في بابل وهو في عودته مات، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، وفي حياته القصيرة أخذ موقفًا متسامحًا مع اليهود، ومنحهم الكثير من الحريّة، يرعون شؤونهم ويديرونها حسب رغبتهم، ويمارسون عبادتهم وينعمون بعقائدهم، وكان أكثر سخاءً معهم إذ جعل اليهود واليونانيين يتساوون في الحقوق، ومن أهم نتائج فتوحاته، انتشار الحضارة اليونانية في الشرق الأدنى، وتألّق اللغة اليونانية لغة الفلسفة والعلوم في جميع أرجاء البلاد التي خضعت لسيطرة **الإسكندر الكبير**، الأمر الذي مَهَّدَ الطريق للترجمة اليونانية للعهد القديم لتكون المدخل الرئيس لكتابة العهد الجديد.

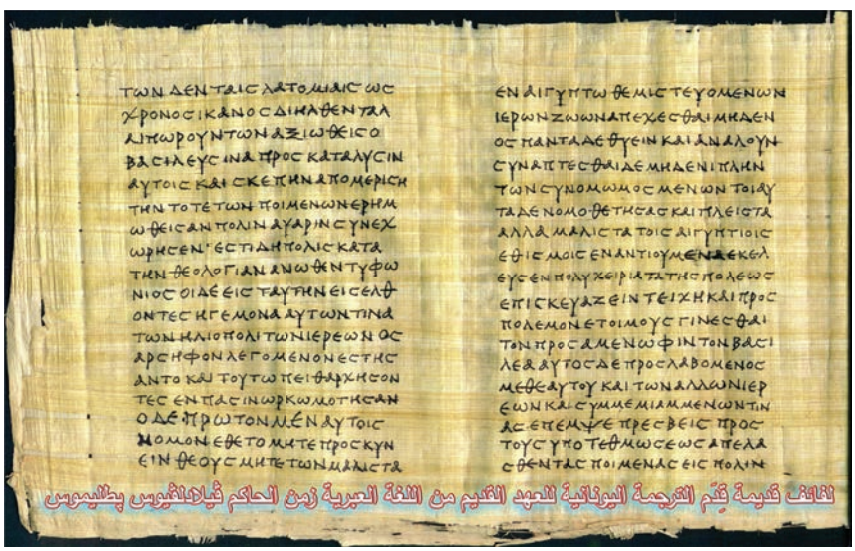
لفائف قديمة تضم الترجمة اليونانية للعهد القديم من اللغة العبرية زمن الحاكم فيلادلفيوس بطليموس